الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية — كلية: الآداب والحضارة الإسلامية

قسم: اللغة العربية

تخصص: إعجاز القرآن والدراسات البيانية

رقم التسجيل.....

الرقم التسلسلي .....

المتشابه اللفظي ودلالاته في القصص القرآني

قصة آدم - عليه السلام - نموذجا

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في إعجاز القرآن والدراسات البيانية

إعداد الطالب:

الشريف دريدح

إشراف الأستاذة الدكتورة:

سكينة قدور

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د.رابح دوب	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	رئيسا
د.سكينة قدور	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مشرفا ومقررا
د.سامي الكناني	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مناقشا
د.ذهبية بورويس	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مناقشا

السنة الجامعية 1432 – 1433 هـ / 2011 – 2012

حمد وثناء

الحمد لله أولا وآخرا، فلولا فضله وكرمه

– جلّ وعلا – ما اهتديت إلى اختيار هذا الموضوع،

ولا اتضحت لي معالم البحث فيه، ولا تيسّر لي

إتمامه على هذه الصورة.

فيا ربّ لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا

رضيت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء:

- ✓ أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين رحمة الله عليهما..
- ✓ وإلى زوجتي وولدي فضل الرحمن..
- ✓ وإلى كل أفراد أسرتي..
- ✓ وإلى كل الأصدقاء الذين شجعوني على مواصلة السير في طريق العلم والمعرفة.. سهيل، كمال، محمد، رشيد، رمضان، جمال، نور الدين، هشام، نذير ..

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير وعرفان

- إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة سكينة قدور، أتقدم بجزيل شكري وتقديري على قبولها الإشراف على هذا البحث، وعلى كل ما قدمته لي من نصائح وتوجيهات ومراجع، والتي استفدت منها جميعا مما سهل علي السير في طريق البحث حتى أصل إلى نهايته..

- كما أتوجه بشكري الجزيل إلى أساتذتي الذين فتحوا لنا آفاق البحث في مرحلة الدراسة النظرية، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور رابح دوب، والأستاذ الدكتور سامي عبد الله الكناني والأستاذة الدكتورة ذهبية بورويس والأستاذة الدكتورة أمال لواتي والأستاذ الدكتور صالح خديش..

- كما لا أنسى أن أتوجه بشكري الجزيل إلى الصديق الأستاذ الدكتور محمد بومعيزة والأستاذ الدكتور بوبكر بعداش والأستاذ الدكتور رشيد دحدوح، فإن صحبتهم هي التي حببت إلي سلوك طريق العلم.

- وكذلك عمال المكتبة الذين ساعدوني مساعدة كبيرة في الحصول على المراجع، وخاصة هيكل وإبراهيم..

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى كل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

تكاد تجمع دراسات إعجاز القرآن الكريم على أن أبرز أنواع الإعجاز فيه هو الإعجاز البياني الذي يتعلق بألفاظه وتراكيبه وأسلوبه، حيث لم يستطع العرب – وهم أرباب البيان – أن يجاروه في ذلك، وعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله بله أن يأتوا بمثله، فكان عجزهم اعترافا ضمنيا بأن القرآن الكريم يأتي في أعلى مستويات البلاغة دالا على ألوهية مصدره، ثم تأتي بعد ذلك الأساليب البشرية التي تتفاوت فيما بينها متلبسة بصفة العجز والنقص التي هي طبع البشر، لذلك وجه العلماء عبر العصور كل عنايتهم لتدبر هذا القرآن وفهم أساليبه، فألفوا في ذلك التواليف الكثيرة، منها ما يتناول شرح غريب ألفاظه، ومنها ما يُعنى ببعض الظواهر الأسلوبية كالقسم والمجاز مثلا، ومنهم من عُني بتفسير كل آياته، فكانت تلك التفاسير الكثيرة المختلفة التي يزخر بها تاريخ المسلمين الثقافي.

وكان علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم من أهم ما يكشف عن روعة الأسلوب القرآني، ودقة استعماله لألفاظه وتراكيبه، وهو علم يُعنى برصد الآيات المتشابهة ألفاظها مع اختلاف فيما بينها إما بزيادة أو حذف، وإما بتقديم أو تأخير، وإما بغير ذلك، ثم الوقوف عند كل تلك الاختلافات والمقارنة بين المواضع التي وردت فيها للوصول إلى السر في كل ذلك، فهو بحث تطبيقي يقف على جزئيات التراكيب، يشرح ألفاظها، ويبحث عن علاقتها فيما بينها، ثم ينظر في مدى مناسبتها للسياقات التي وردت فيها. والمتشابه اللفظي يأتي في مواضيع متعددة مما تناوله القرآن الكريم، إلا أن أبرز مجال تجلى فيه هو القصص القرآني، وبخاصة في القصة الواحدة للنبي الواحد، فقارئ القرآن يجد بعض الآيات ترد في مواضع مختلفة من القصة تبدو في الظاهر أنها تتحدث عن حدث واحد أو موقف واحد، إلا أنها متشابهة في صياغتها، حيث حدث فيها بعض التغيير، وكل ذلك مثير للحيرة والتساؤل، حتى إن بعض الآراء –كما أورد الإمام الطبري في تفسيره للآية السابعة من سورة آل عمران – تجعله من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، وأن البحث فيه قد يؤدي بصاحبه

إلى الضلال، كما أن بعض الطاعنين في القرآن جعل من تلك الآيات مدخلا للطعن فيه، وجعلوا ذلك من قبيل الحشو والعيّ كما ذكر شأنهم الإمام الباقلاني في كتابه الانتصار للقرآن، إلا أن العلماء الذين جاؤوا من بعدُ رأوا أن هذه الآيات المتشابهة لفظا تكشف حقا عن إعجاز القرآن في أسلوبه، فجمعوها وألفوا فيها كتبا خاصة ضمت القصص وغيره كما فعل الخطيب الإسكافي ومن جاؤوا بعده ممن ورد ذكرهم في هذا البحث إلى عصرنا هذا.

ووجدتني أميل إلى البحث في هذا الميدان، وبخاصة في القصص القرآني، لأني وجدت أصحاب هذا الفن يقفون بالقارئ على دقائق المعاني في أصغر الجزئيات المتعلقة بالتراكيب، فيقفون به — مثلا — عند المعاني النحوية والصرفية ودلالات المفردات في حال إبدال بعضها ببعض، أو في حال زيادتها هنا وحذفها هناك، ودلالات التقديم والتأخير، وارتباط كل ذلك ببعضه البعض، مما يقف بالقارئ على عظمة هذا الأسلوب، وأنه إلهي المصدر، لذلك رأيت أن يتناول بحثي الذي الآيات المتشابهة في القصص القرآني وبخاصة ما كان منها في القصة الواحدة، فبعض الآيات تكاد تكون متطابقة ما عدا اختلافا يسيرا بينها، مما يجعل العقل يطرح تساؤله عن سرّ ذلك، بمعنى لماذا اختص هذا الموضع بهذا الاختلاف دون ذاك؟ وهل يمكن أن يتبادل الموضعان هذا الاختلاف دون أن يختل المعنى؟ وهل القرآن في المواقف المختلفة أو الأحداث التي يرويها، إنما يحكي حقيقة ما حدث، أو أنه يتصرف فيما يرويه وإن كان هناك اختلاف في الصياغة والمعنى فيما يبدو للقارئ أنه حدث واحد أو موقف واحد؟ إن هذه الأسئلة أو بعضا منها ليست بجديدة، فقد طرحت في أول مؤلَّف في هذا الفن، ثم طرحت عند الذين جاؤوا من بعدُ، إلا أن الإجابات عن بعض من هذه المواطن المتشابهة لم تكن مقنعة، فيأتي من بعدهم فيستدرك عليهم، بل إن بعض الآراء تشيع في كتب المتشابه وكتب التفسير، ثم يتبين لدى المعاصرين أنها ليست بصحيحة لأنها كانت قائمة على استقراء ناقص، لم يشمل النظر في كل المواطن المشابهة، كما أن هناك آيات من المتشابه اللفظي وجهت بآراء عدة مختلفة قد تصل عند المقارنة بينها إلى التناقض بحيث لا يمكن الجمع بينها لتوجيه ذاك الموضع أو تلك الآية، وعليه فما زال العلماء إلى يومنا هذا يقفون عند هذه الآيات المتشابهة لفظا، مضيفين إلى تراث السابقين آراء جديدة توصلوا إليها جراء بحثهم المتواصل في معاني القرآن الذي لا ينفد عطاؤه إلى يوم الدين. هذا، وقد وجدت بعض الآراء لا تزيل الحيرة والالتباس من ذهن

القارئ، فيطرح من الأسئلة مثل تلك التي طرحها علماء المتشابه اللفظي والمفسرون في هذا الموضع أو ذاك، وقد دفعني كل ذلك إلى البحث في هذا المجال والاطلاع – بقدر ما يسمح به الجهد والوسع – على آراء العلماء في الشواهد المدروسة، لعلي أظفر بترجيح لرأي من الآراء المختلفة، أو أبني على آرائهم لأصل إلى رأي غير مبتور الصلة بآرائهم.

ثم إني وقد وجدت الأبحاث المعاصرة التي خصت المتشابه اللفظي في القصص القرآني بالدراسة قد تناولت من قصص الأنبياء قصص سيدنا موسى ونوح وهود وصالح وشعيب، ولم أجد – في حدود اطلاعي – من خص قصة سيدنا آدم عليه السلام بالبحث من هذا الجانب، فآثرت أن أجعلها مجالا للدراسة التطبيقية.

وقد اعتمدت في بحثي على المصادر الأصلية لهذا العلم، وأهمها كتب الخطيب الإسكافي والكرماني وابن الزبير الغرناطي، وكذلك كتب التفسير المختلفة التي كانت تتفاوت فيما بينها في مدى العناية بتوجيه آيات المتشابه اللفظي، وأهمها تفاسير الإمام الرازي وأبي حيان الأندلسي والألوسي والبقاعي وابن عاشور والشعراوي، كما حاولت أن أستفيد من الدراسات المعاصرة التي تناولت هذا الموضوع أو ضمنت في مباحثها بعض الشواهد والأمثلة، ككتاب من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم لمحمد بن علي الصامل، والإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني في المتشابه من الألفاظ والتراكيب لأحمد محمد أمين إسماعيل، والتعبير القرآني لفاضل السامرائي، مما احتوى عليه هذا البحث، وغيرها من الكتب، كما استفدت من بعض الكتب التي ألفت فيه على طريقة القواميس والمعاجم للاطلاع على مظان الآيات في القرآن وإن لم أتمكن من الاقتباس منها وأهمها: الآيات المتشابهات لعبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، كما استفدت من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ومن مصحف المدينة الإلكتروني براوية حفص في كتابة الآيات القرآنية، ومن كتب علم الدلالة التي ساعدتني على تحديد جوانب الدراسة في الفصل الثاني، وغيرها من الكتب التي يمكن أن تسهم في شرح معنى من المعاني أو توضيحه.

وقد اعتمدت في بحثي على المنهجين التحليلي والاستقرائي المقارن، فكنت أجمع ما أستطيع جمعه من الآراء في المثال الواحد، ثم أحاول أن أقارن بينها، ثم أعرضها وفق ما تطمئن إليه النفس من تسلسل منطقي قد لا يراعي بالضرورة تسلسلها الزمني، وهذا لطبيعة الكثرة في الكتب التي تناولت

تلك الأمثلة والشواهد، وأعني بالتحديد كتب المفسرين، وقد تبين لي مدى اتساع الموضوع الذي أنا بصدده، بحيث ألفيت أن كل دلالة تصلح لأن تكون بحثا قائما بذاته لما ينضوي تحتها من الظواهر الجزئية المتعددة كالدلالة النحوية والصرفية، إلا أن ذلك لم يحل دون السير في الخطة الموضوعة إلى آخرها، لأن غايتي من ذلك هي اختبار هذه الدلالات المختلفة، والكشف عن مدى إسهامها في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني، وقد أدعم كل دلالة بمثالين أحرص – غالبا – أن يكونا من قصة واحدة للتأكيد على ما أصل إليه من نتائج، ثم لا بأس بعد ذلك من أن تكون كل دلالة صالحة لبحث قائم بذاته يرصد كل ظواهرها التي تشملها.

وقد بدا لي بعد قراءاتي في هذا الموضوع أن تكون خطة البحث مبنية على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة؛ عنونت الفصل الأول منها بـ: "المتشابه اللفظي تعريفه، أنواعه، رؤية تاريخية" ثم قسمته إلى ثلاثة مباحث؛ تناول الأول منها التعريف اللغوي للمتشابه واللفظي، ثم انتقلت إلى التعريف الاصطلاحي، وحاولت الوصول إلى مفهوم له وفق ما كتبه عنه أهله الذين ألفوا فيه، ثم انتقلت إلى الحديث عن هذا المصطلح عند العلماء الآخرين من القدامى ممن أشاروا إليه باسمه الاصطلاحي مع اختلاف في الدلالة، أو باختلاف في المصطلح مع اتفاق في الدلالة، فذكرت الإمام الطبري والراغب الأصفهاني والزركشي والسيوطي، ثم ختمته بتعريفه عند بعض المعاصرين، أما المبحث الثاني فقد جعلته لضبط أنواعه، وقد حاولت أن تكون كل الأمثلة عليها مما ورد في القصص على خلاف ما فعله بعض المعاصرين، أما المبحث الثالث فخصصته للحديث عن رؤية تاريخية أثرت فيها أولية التأليف في هذا المجال التي ادعاها لنفسه الخطيب الإسكافي، كما أشرت إلى أهم الكتب التي ألفت قديما وحديثا في هذا الميدان.

ثم كان الفصل الثاني الذي عنونته بـ "دلالة المتشابه اللفظي في القصص القرآني" وقسمته إلى مبحثين؛ مبحث أول تحدثت فيه عن منهج القرآن في عرض قصصه كما ذكرها الدارسون، حتى يُلمّ القارئ بطريقة العرض هذه، ذلك أن علماء المتشابه اللفظي كثيرا ما يشيرون في توجيهاتهم – مثلا – إلى مسألة ورود القصة مجملة هنا ومفصلة هناك، أو إلى مسألة الإيجاز والحذف، واختلاف عبارات الاستهلال في سرد الأحداث أو الحوار؛ ومبحث ثان بعنوان " دلالات المتشابه اللفظي في القصص القرآني " حيث إن الدلالة دلالات في الحقيقة، فتحدثت عن الدلالة المعجمية والنحوية

والصرفية والصوتية، وهي أهم ما يتشكل منه السياق اللغوي، وجعلت لكل دلالة – كما ذكرت سابقا- مثالين للتأكيد على ما تُوصل إليه كل دلالة من نتائج.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان: "المتشابه اللفظي في قصة سيدنا آدم دراسة تطبيقية"

وهو فصل أرصد فيه الدلالات المختلفة في الآيات المتشابهة من هذه القصة، ولطبيعة الدراسة التطبيقية جعلت أمثلته هي العناوين الفرعية له مثل: المثال الأول: (آية الحجر28) (آية ص 71) والمثال الثاني: (آية البقرة 35) (آية الأعراف 19...الخ

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

المتشابه اللفظي: تعريفه، أنواعه، رؤية تاريخية

المبحث الأول: تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحا

المبحث الثاني: أنواع المتشابه اللفظي

المبحث الثالث: المتشابه اللفظي رؤية تاريخية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحا

أولا: المتشابه اللفظي لغة:المتشابه اللفظي مصطلح مركب من لفظين على طريقة المركب البياني الذي يعرفه أهل النحو بقولهم: << المركب البياني هو كل كلمتين ثانيتهما موضحة معنى الأولى، وهو ثلاثة أقسام؛ مركب وصفي وهو ما تألف من الصفة والموصوف مثل فاز التلميذ المجتهد.. ومركب توكيدي ... ومركب بدلي >> [1] والمتشابه اللفظي يندرج في المركب الوصفي، وعليه، لا بد من الوقوف على المعنى اللغوي لكل لفظ على حدة.

أ/ **المتشابه** : المتشابه مأخوذ من الفعل " تشابه " على وزن " تفاعل "، وهو من الثلاثي المزيد بحرفين، جذره اللغوي هو (ش،ب،ه) قال ابن فارس (ت395ه) في معجم مقاييس اللغة:<< الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا، يقال شِبْه وشَبَهٌ وشبيه>> [2] وجاء في كتاب العين للخليل بن أحمد (ت170ه): << الشَّبَه ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفرّ، وسُمّي شبها لأنه شُبّه بالذهب >> [3] وقال الراغب الأصفهاني (ت 502ه): << الشِبْه و الشَّبَه والشبيه حقيقتهما في المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم وكالعدالة والظلم >> [4]وقد ذكر الجوهري في الصحاح أنّ: << الشُبْهة الالتباس >> [5] وجاء في لسان العرب: << وفيه شُبْهة منه أي شَبَه... والشبهة الالتباس، وأمور مشتبِهة ومشَبّهة مشكلة يشبه بعضها بعضا >> [6] ومن خلال ما تقدم يتبين أن هذا الجذر اللغوي قائم على

---

[1] مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2004، ص19.

[2] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1979،مادة (شبه)، ج3، ص243.

[3] الخليل بن أحمد: كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003،ج2، ص304.

[4] الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2005، ص 257.

[5] الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد ع/ الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990، مادة (ش ب ه)ج6، ص 2236.

[6] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (ش ب ه)ج13، ص 504.

معنيين أساسيين هما؛ المماثلة والالتباس، وتتبع الكلمات التي اشتقت منه على اختلاف أوزانها؛ أفعالا أو أسماء، لا يخرج بصاحبه عنهما، فما جاء على معنى الالتباس <<المشْبِهات من الأمور المشكلات... وشبّه علي فلان إذا خلّط، واشتبه الأمر اختلط >>[1] و<< المشتبهات من الأمور المشكلات >> [2] وما جاء على معنى المماثلة << والمتشابهات المتماثلات، وتشبّه فلان بكذا، والتشبيه التمثيل، وأشبهتُ فلانا وشابهته >> [3] و<< تشابه الشيئان واشتبها، أشبه كل واحد منهما صاحبه >> [4] والظاهر من هذه النقول، أن هذه المشتقات كلها تستعمل في المعنيين كليهما، مما يوحي بأن هناك علاقة بينهما يمكن لمحها لدى الزمخشري (ت 538هـ) في كتابه "أساس البلاغة" حيث يقول: << وتشابه الشيئان واشتبها... واشتبهت الأمور وتشابهت التبست لإشباه بعضها بعضا >> [5] فالالتباس نتيجة التشابه والتماثل بين الأشياء، فالمشابهة سبب فيه، إذ ليست هي المطابقة بين المتشابهين برغم ما بينهما من نقاط الاشتراك، ولعل هذا هو الذي سوّغ هذا الاستعمال.

الجذر اللغوي (ش ب هـ) في القرآن الكريم:

لم يرد هذا الجذر اللغوي في القرآن الكريم إلا مزيدا على أوزان مختلفة؛ أفعالا وأسماء، وذلك في خمس سور، هي: البقرة، آل عمران، الأنعام، الرعد، والزمر [6] فمن الأسماء "**متشابه**" في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ الأنعام: ٩٩ وكذلك في الآية 141، و"**متشابها**"

---

(1) الخليل بن أحمد:كتاب العين، ج2، ص 304.. ويُنظر ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج3، ص 343..

(2) الجوهري: الصحاح، ج 6، ص 2236.

(3) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(4) ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص 503.

(5) الزمخشري: أساس البلاغة، دار المعرفة، بيروت، د ت ، ص 228.

(6) يُنظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2001، ص 461.

في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ الأنعام: ١٤١ وفي قوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٥ وفي قوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر: ٢٣ و "**متشابهات** " في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ آل عمران:7 و"**مشتبها**" في الأنعام/ 99.

أما الأفعال فمنها "**شُبّه**" في قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ النساء: ١٥٧ و " **تشابهت** " في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ البقرة: ١١٨ و"**تشابه**" في قوله: ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۚ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ البقرة: ٧٠ وفي قوله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ الرعد: ١٦ وفي آل عمران/ 7.

وقد تعرضت معاجم اللغة لهذه الكلمات القرآنية التي لم تخرج في معانيها عما تم تقريره من قبل، قال الراغب: << "وأُتوا به متشابها" [البقرة/25] أي يشبه بعضه بعضا لونا لا طعما وحقيقة، وقيل متماثلا في الكمال والجودة، وقوله "الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها" [الزمر/23] فإنه

يعني ما يشبه بعضه بعضا في الأحكام والحكمة واستقامة النظم. >> [1] وقال الخليل: << وقال الله عز وجل" آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخَر متشابهات" [آل عمران/7] أي يشبه بعضها بعضا. >> [2] وجاء في لسان العرب: << وتشابه الشيئان واشتبها، أي أشبه كل منهما صاحبه، وفي التنزيل "مشتبها وغير متشابه" [الأنعام/99]>> [3] أما في قوله تعالى " وأتوا به متشابها" فبعد أن ذكر معنى التشابه في الجودة والحسن قال : << قال المفسرون: متشابها يشبه بعضه بعضا في الصورة ويختلف في الطعم، ودليل المفسرين قوله تعالى "هذا الذي رزقنا من قبل" لأن صورته الصورة الأولى، ولكن اختلاف الطعم مع اتفاق الصورة أبلغ وأغرب عند الخلق، ولو رأيت تفاحا فيه طعم كل الفاكهة لكان نهاية في العجب >> [4] وقبله ذكر هذا المعنى ابن قتيبة (ت 276 هـ) فقال : << " وأتوا به متشابها " أي متفق المناظر مختلف الطعوم >> [5]

وبالتأمل في هذه الشروح يتبين معنى دقيق في العلاقة بين معنيي المماثلة والالتباس يزيدها وضوحا، وهو أن المماثلة بين الشيئين ليست مماثلة مطلقة، وإلا لكان الشيء هو نفسه، بل مماثلة مع شيء من الاختلاف يقتضي هذا الالتباس، وهذا ما يمكن فهمه من كلام كل من الراغب الأصفهاني وابن قتيبة وابن منظور.

ب/**اللفظي**: جاء في الصحاح عند الجوهري : << لفظت الشيء من فمي ألفِظه لفظا: رميته، وذلك الشيء لُفاظة... ولفظت بالكلام وتلفظتُ به أي تكلمت به، واللفظ واحد الألفاظ، وهو في الأصل مصدر >> [6] وجاء في معجم مقاييس اللغة: << اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم، تقول لفظ بالكلام يلفظ لفظا، ولفظت

---

[1] الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ص ص 257-258.

[2] الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج2، ص304.

[3] ابن منظور: لسان العرب: ج13، ص ص 504-505.

[4] المصدر نفسه: ج13، ص 505.

[5] ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ت السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973، ص 101.

[6] الجوهري: الصحاح: ج3، ص 1179.

الشيء من فمي... وشيء ملفوظ ولفيظ >> [1] ومثله جاء في لسان العرب << ولفظ بالشيء يلفظ لفظا، تكلم، وفي التنزيل العزيز " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " [ق/18] ولفظت بالكلام وتلفظت به أي تكلمتُ >> [2] وذكر الخليل أن << اللفظ الكلام... واللفظ أن ترمي بشيء كان في فيك... والأرض تلفظ الميت أي ترمي به، والبحر يلفظ الشيء يرمي به إلى الساحل. >> [3] أما الراغب فقال: << اللفظ بالكلام مستعار من لفظ الشيء من الفم... قال تعالى "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" >> [4]

ثانيا: المتشابه اللفظي اصطلاحا:

لمعرفة حقيقة هذا المصطلح يحسن الوقوف على كلام العلماء القدامى الذين صنفوا فيه كتبا خاصة، ثم التعرض إلى كلام غيرهم سواء عند بعض المفسرين أو بعض المصنفين في علوم القرآن، وأخيرا عند بعض المعاصرين الذين تعرضوا لهذا الموضوع بالبحث والدراسة.

أ/ عند العلماء المصنّفين فيه: لم يشر هؤلاء العلماء الذين ألفوا فيه إلى تعريف محدد للمتشابه اللفظي لغة واصطلاحا، كما هو الحال في الكتب المؤلفة في علم من العلوم، وإنما حاولوا في مقدمات كتبهم تحديد المجال الذي تدور فيه أبحاثهم، ومن خلال هذه المحاولة يمكن استنباط مفهوم لمصطلح المتشابه اللفظي، وعليه اقتضى الأمر – أولا– عرض أقوال أولئك العلماء مجتزأة من مقدمات كتبهم، ثم – ثانيا – التعليق عليها جميعا.

- جاء في مقدمة كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل" للخطيب الإسكافي (ت420هـ): << تدعوني دواع قوية يبعثها نظر وروية، في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المتعلقة والمنحرفة تطلبا لعلامات ترفع لبس إشكالها، وتخص الآية دون أشكالها... ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقانا وصار لمبهم المتشابه وتكرار المتكرر

---

(1) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ج5، ص 259.

(2) ابن منظور: لسان العرب: ج7، ص 461.

(3) الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج4، ص93.

(4) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ص 456.

تبيانـا >> [1] وقد قال محقق الكتاب معلقا على قوله " المتعلقة والمنحرفة":<< ولعل المؤلف رحمه الله يريد إذا ورد في الآيات المتكررة من القرآن كلمات حروفها متشابهة إلا أنها تتفق أحيانا وتختلف أحيانا أخرى، فإن بعض هذه الكلمات قد يتعلق بالمعنى الأصلي للآية، والبعض الآخر قد يعدل به عن هذا المعنى إلى معنى آخر يراد أيضا من الآية، وقد أشار المؤلف إلى النوع الأول بقوله " المتعلقة "كما أشار إلى النوع الثاني منه بقوله " المنحرفة " أي العدول بها إلى معنى آخر.>> [2]

- وجاء في مقدمة كتاب " البرهان في توجيه متشابه القرآن " للكرماني (ت505هـ): << فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبيّن ما السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الأخرى >> [3]
- وجاء في مقدمة كتاب " ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آيات التنزيل " لابن الزبير الغرناطي (ت708هـ) : << إن من مغفلات مصنفي أئمتنا – رضي الله عنهم – في خدمة علومه، وتدبر منظومه الجليل ومفهومه، توجيه ما تكرر من آياته لفظا أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير >> [4] ولما تحدث عن الخطيب الإسكافي وكتابه "درة التنزيل" قال: <<... معتمدا عين ما ذكره من الآيات، ومستدركا مما أغفله رحمه الله، من أمثالها من المتشابهات، برفع تلك الإشكالات... وقد استجرت تلك

---

(1) الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، ت محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، ط1، 2001، ج1، ص ص 217-219 بتصرف يسير.

(2) المصدر نفسه: ص ص 217-218.

(3) محمود بن حمزة الكرماني: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ت عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1986، ص ص 19-20.

(4) أحمد بن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ت سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2007، ج1، ص 145.

الآيات جملة وافرة من المقفلات من أمثال تلك المشكلات مما يجاري ويشبه، ويلتبس على من قصّر في النظر ويشتبه. >> [1]

- وجاء في مقدمة " كتاب فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن " لزكريا الأنصاري (ت926هـ): << أما بعد، فهذا مختصر في ذكر آيات القرآن المتشابهات المختلفة بزيادة أو تقديم أو إبدال حرف بآخر وغير ذلك مع بيان سبب الاختلاف، وفي ذكر غير المختلفة مع بيان سبب تكراره، وفي ذكر أنموذج من أسئلة القرآن وأجوبتها صريحا أو إشارة >> [2]

وبالتأمل في كل ما ذكر يتضح أن المتشابه اللفظي قائم على مسألتين جوهريتين هما؛ التكرار مع الاختلاف، والتوجيه أو التعليل الذي عُبّر عنه بـ " رفع الإشكالات " و " بيان سبب الاختلاف " و " الحكمة في تخصيص الآية... " و " الموجب للزيادة..." وهذا التكرار مع الاختلاف يقتضي المشابهة والمماثلة، ولكن ليست المطلقة، بل التي يعتريها اختلاف يستدعي معه اللبس والإشكال، مما يحتم البحث عن التعليل والتوجيه، ولو كان هناك تكرار من دون اختلاف، فالظاهر أنه ليس من المتشابه اللفظي، وإن كان يتطلب هو الآخر تعليلا أو تفسيرا لسبب تكراره، ويمكن لمح هذا الأمر في كلام ابن الزبير الغرناطي السابق في قوله " توجيه ما تكرر من آياته لفظا أو اختلف بتقديم أو تأخير " فالعطف بـ " أو " يوحي بأن ما تكرر لفظا قسم بمفرده، وما اختلف بتقديم أو تأخير قسم آخر من المكرر، وكذلك في كلام زكريا الأنصاري في قوله " وفي ذكر غير المختلفة مع بيان سبب تكراره ".

أما ما ورد من حديث عن الزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير وغيرها، فهي في الحقيقة صور الاختلاف التي يأتي عليها المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

وعليه يمكن استخلاص تعريف للمتشابه اللفظي بأنه **تلك الآية التي تكررت من حيث اللفظ مع اختلاف بإبدال وبزيادة أو نقصان وبتقديم أو تأخير تسبب في إشكال أو لبس اقتضى تعليلا أو توجيها.**

---

[1] المصدر السابق: ج1،ص 147.

[2] زكريا الأنصاري: كتاب فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، ت بهاء الدين ع/الموجود محمد، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، دت، ص1.

ومن خلال هذا التعريف يبدو توافق المعنى اللغوي للمتشابه اللفظي مع معناه الاصطلاحي، حيث أن المشابهة بين الشيئين تستلزم المغايرة والاختلاف –كما تم تقريره لغة – فكذلك إذا كانت بين الآيات فإنها لا تقتضي التطابق التام، وإلا أصبحت تدخل في باب التكرار التام، إلا أنه زيدت مسألة التعليل والتوجيه في المعنى الاصطلاحي لأنها هي التي جعلته فنا من الفنون يستحق أن تؤلف فيه الكتب وأن يجعل بابا من أبواب علوم القرآن.

ب/ عند غير العلماء المصنّفين فيه:

إن المقصود بالحديث هنا أربعة علماء، هم ابن جرير الطبري والراغب الأصفهاني والزركشي والسيوطي، وسبب تخصيص هؤلاء العلماء بالذكر أن الطبري ذكر رأيا من الآراء في تفسير معنى المتشابه عند تفسيره للآية السابعة من سورة آل عمران يجعله في اللفظ، أما الراغب فقد استعمل المصطلح نفسه في كتابه المفردات مع اختلاف في المعنى، أما الزركشي (ت 794 هـ) والسيوطي (ت 911 هـ) فباعتبار كتابيهما " البرهان في علوم القرآن " و " الإتقان في علوم القرآن " أهم ما ألف في علوم القرآن، وقد ذكرا المتشابه اللفظي باختلاف في المصطلح. لذلك يحسن التعرض لكلام كلٍّ على حدة، ثم التعليق عليه.

1. المتشابه اللفظي عند الطبري:

أورد الإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ ﴾ [آل عمران: ٧] أقوالا عدة للعلماء في تعريف المتشابه منها أن <<المتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، بقصه باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وبقصه باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني>> [1] ثم روى عن القائلين بهذا الرأي مزيد تفصيل فقال:

[1] محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ت عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ج5، ص 197.

<< ...والمتشابه ذكر موسى في أمكنة كثيرة وهو متشابه، وهو كله معنى واحد، ومتشابهه " اسلك فيها " و "احمل فيها" "اسلك يدك" "أدخل يدك" "حية تسعى" "ثعبان مبين"... وقال في المتشابه [أي راوي هذا الحديث ابن زيد بن أسلم] من القرآن: من يرد الله به البلاء والضلالة يقول: ما شأن هذا لا يكون هكذا؟ و ما شأن هذا لا يكون هكذا؟ >> [1] وقد علق على هذا التعريف أحد المعاصرين بقوله: << وهذا الذي نبه إليه ابن جرير الطبري، – رحمه الله – هو المتشابه اللفظي، وقد ذكر منه نوعا واحدا وهو الإبدال في المفردات >> [2] إضافة إلى قصره المتشابه اللفظي على القصص وهو أوسع من ذلك، كما أنه لا يرى البحث في توجيهه خشية التعرض للبلاء والضلال، ولعل هذا ما جعل الإمام الطبري لا يُعنى في تفسيره بتوجيهه .

2.المتشابه اللفظي عند الراغب الأصفهاني:

ذكر الراغب في مفرداته أن هناك متشابها من جهة المعنى، ومتشابها من جهة اللفظ، ثم خص هذا الأخير بشيء من التفصيل فقال: << والمتشابه من جهة اللفظ ضربان أحدهما؛ يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك إما من جهة غرابته نحو الأبّ ويزفّون [3]، وإما من جهة مشاركة في اللفظ كاليد والعين، والثاني يرجع إلى جملة الكلام المركب وذلك ثلاثة أضرب؛ لاختصار الكلام نحو ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴿٣﴾ ﴾ [النساء: ٣] وضرب لبسط الكلام نحو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١] لأنه لو قيل ليس مثله شيء كان أظهر للسامع، وضرب لنظم الكلام نحو ﴿ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا ﴿٢﴾ ﴾ [الكهف: ١ – ٢] تقديره الكتاب قيّما، ولم يجعل له عوجا >> [4] والظاهر من هذا الكلام على طوله، أن المتشابه اللفظي هنا، ليس بالمعنى نفسه الذي أراده من

---

(1) المصدر السابق: ج5، ص 198.

(2) تهاني باحويرث: أثر دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني ، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، تحت الرقم: 4258390، ص 20.

(3) قال الراغب في المفردات: الأبّ: المرعى المتهيّئ للجز، ويزفّون: يسرعون. ص 16 و ص 218.

(4) المصدر نفسه: ص 257.

ألّف فيه تلك الكتب التي تمّ ذكرها سابقا، وإن تشابهت التسمية، فالمتشابه من جهة اللفظ عند الراغب هو الإبهام أو الغموض الذي يعتري اللفظ المفرد، إما من جهة غرابته وجهل معناه وهو ما اصطُلح على تسميته بعلم غريب القرآن، وإما من جهة استعماله في أكثر من معنى، وهو ما اصطلح على تسميته بالمشترك اللفظي، أو ما يعتري الجملة الواحدة، أي الكلام المركب، سواء من جهة الاختصار والإيجاز أو من جهة الحذف، وكل هذا ليس من المتشابه اللفظي الذي يأتيه الغموض والالتباس من التكرار للآيات مع الاختلاف بين مفرداتها على الصور التي ذكرت. هذا، وقد ذكرت الباحثة تهاني باحويرث في معرض حديثها عن أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم أن الراغب الأصفهاني حاول : << وضع تقسيم دقيق للمتشابه في مصنفه للمفردات في غريب القرآن >> [1] وهو هذا التقسيم الذي تمت الإشارة إليه، وهو بعيد كل البعد عن الأنواع التي ذكرها له علماء المتشابه اللفظي أو علماء علوم القرآن ، لأن المصطلح عند الراغب مختلف معناه عن المتشابه اللفظي الذي كانت الباحثة بصدد دراسته.

3.المتشابه اللفظي عند الزركشي والسيوطي:

ذكر الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " المتشابه اللفظي في القرآن وأسماه " علم المتشابه " وقد عرفه بقوله: << وهو إيراد القصة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام، وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومكررا، وأكثر أحكامه تثبت من وجهين فلهذا جاء باعتبارين. >> [2]

أما السيوطي فقد أورده في كتابه " الإتقان في علوم القرآن" بعنوان "الآيات المشتبهات" ثم أورد جزءا من تعريف الزركشي في تعريفه فقال: << والقصد به إيراد للقصة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة، بل تأتي في موضع مقدما وفي آخر مؤخرا >> [3]

---

(1) تهاني باحويرث: أثر دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني، ص 25.

(2) بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، دار الحديث القاهرة، ت أبي الفضل الدمياطي، ط، 2006، ص87.

(3) جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 2008، ج2، ص 461.

ويبدو أن هذين المصطلحين " علم المتشابه " والآيات المشتبهات " من دون تقييدهما بقيد اللفظ، تكون دلالتهما عامة، وقد تتداخل مع مفاهيم عدة للمتشابه، والتي منها ما ينفرد الله بعلمه، أو ما يحتمل أوجها، أو ما كان غير معقول المعنى، [1] إضافة إلى أنها تخلو من مسألة التوجيه أو التعليل، التي اقتضت التأليف في هذا المجال ليكون فنا قائما بذاته.

ج/ المتشابه اللفظي عند المعاصرين: قدم المعاصرون تعاريف للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم لا تكاد تخرج عما قرره السابقون، ومن هذه التعاريف؛ تعريف فهد الشتوي: << بأنه الآيات المتكررة في موضوع واحد متقارب المعنى مع اختلاف في لفظها أو نظمها أو كليهما >> [2] وتعريف تهاني باحويرث بأنه : << الآيات القرآنية المتكررة بلفظها أو مع اختلاف يسير في لفظها أو نظمها أو كليهما مع تقارب المغنى لغرض ما >> [3] أما أحمد محمد أمين إسماعيل فقد أورد في كتابه "الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني" عدة تعاريف للمحدثين معتبرا إياها غير دقيقة أو غير وافية، من ذلك تعليقه على أحد هذه التعاريف، حيث يقول: << أما الدكتور رشيد الحمداوي فقد عرف المتشابه بقوله بأنه "المقاطع أو الآيات التي جاءت في أكثر من موضع مع اختلاف في بعض ألفاظها بنوع من أنواع الاختلاف" والذي يبدو أن تعريفه قاصر لأنه ذكر الآيات أو المقاطع في أكثر من موضع مع اختلاف في بعض الألفاظ، أي إنه نسي الآيات الآيات المتشابهة تماما من حيث اللفظ >> [4] ثم ذكر بعد ذلك تعريفه الخاص فقال: << فالمتشابه اللفظي آيتان أو مقطعان فأكثر بينهما تشابه تام من حيث اللفظ أو غير تام >> [5] وهذا التعريف والتعريف الثاني يجعلان ما تكرر من دون أي اختلاف ضمن المتشابه اللفظي، وهو ما تمّ إخراجه من قيود التعريف الذي ذكر من قبل، وفي هذا المعنى يقول

---

(1) ينظر في معنى "المتشابه" المصدر نفسه، ج2، ص 299.

(2) فهد الشتوي: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، رسالة ماجستير رقم 42380297، كلية أصول الدين، جامعة أم القرى، ص 100.

(3) تهاني باحويرث: أثر دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني، ص 24.

(4) أحمد محمد أمين إسماعيل: الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني في المتشابه من الألفاظ والتراكيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011 ص 37.

(5) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

أحد المعاصرين: << بقي أن أوضح أن ما تكرر بعينه من الآيات فهو من قبيل المتفق اللفظي، وليس المتشابه، فهناك آيات تكررت بأعيانها دون أي يحدث عليها أي تعديل أو تبديل فهذا ما يسمى بالمكرر >> [1] إضافة إلى خلو كل هذه التعاريف من مسألة التوجيه أو التعليل والتي كانت مسألة أساسية عند من صنف في المتشابه اللفظي من القدامى.

المبحث الثاني:

أنواع المتشابه اللفظي

لعل أول من قسم المتشابه اللفظي إلى أنواعه المختلفة هو الإمام الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن [2] حيث جعله خمسة عشر فصلا مبتدئا بما تشابه باعتبار الأفراد، وهو ما جاء في القرآن مرة واحدة، ثم ما جاء على حرفين، ثم ما جاء على ثلاثة أحرف حتى يصل إلى أحد عشر حرفا، ثم ما جاء على خمسة عشر حرفا، ثم ما جاء على ثمانية عشر حرفا، ثم ما جاء على عشرين حرفا، وهو نفس التقسيم الذي ذكره الإمام الكسائي في كتابه " متشابه القرآن" يزيد عليه – أي الزركشي – بما جاء على ثمانية عشر حرفا وما جاء على ثلاثة وعشرين حرفا، أما الأمثلة على هذه الأنواع فتكاد تكون هي هي، وأهم نوع من هذه الأنواع هو النوع الأول، وبه يتميز تقسيم الإمام الزركشي، وذلك من ناحيتين خلا منهما كتاب الكسائي؛ الناحية الأولى: وهي تقسيمه له إلى ثمانية أقسام؛ الأول: أن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه وهو يشبه رد العجز على الصدر. الثاني: الزيادة والنقصان. الثالث: التقديم والتأخير.الرابع: التعريف والتنكير. الخامس: الجمع والإفراد. السادس: إبدال حرف بغيره. السابع: إبدال كلمة بأخرى. الثامن: الإدغام وتركه. أما الناحية الثانية، فهي تعليله لمجموعة من الآيات ضربها كأمثلة على كل قسم، حيث بلغ عدد آيات النوع الأول ثمانية وتسعين آية، علل منها إحدى عشرة آية، وهذا على خلاف الأربعة عشر نوعا المتبقية، والتي ترصد عدد مرات تكرر الآية أو الجزء منها، بل وحتى الكلمة الواحدة مما لا يدخل في باب المتشابه اللفظي، كذكره – مثلا – في ما جاء على ثلاثة أحرف كلمة "أجلا" بالنصب في

---

[1] محمد بن علي الصامل: من بلاغة المتشابه اللفظي، دار إشبيليا، السعودية، ط1، 2001، ص 13.

[2] ينظر البرهان في علوم القرآن: ص ص، 87،110.

الأنعام/2 والإسراء/99 و غافر/67، أوفي ما جاء على أربعة أحرف كلمة "مباركا" بالنصب في آل عمران/96، ومريم/31، والمؤمنون/29، وق/9، وغيرهما من الأمثلة. وهذا لاختلاف الآيات التي وردت فيها الكلمة.

وهذه الأقسام الثمانية هي الصور المختلفة أو الأنواع التي يأتي عليها المتشابه اللفظي موضوع الدراسة، إلا أنه بالتأمل في هذا التقسيم يبدو أنه لا يستند إلى أساس منطقي مضبوط، فأمثلة القسم الأول – مثلا – لا تختلف عن أمثلة القسم الثالث وهو التقديم والتأخير، كما أن أقسام التعريف والتنكير والجمع والإفراد والإدغام لا تعدو أن تكون إبدال صيغة بصيغة أخرى، لذلك يمكن إدراجها في قسم الإبدال، كما أن قسمي التقديم والتأخير يمكن تقسيمهما إلى أنواع وفروع. [1]

وعليه فإنه يمكن حصر أنواع المتشابه اللفظي في ثلاثة أساسية هي: الإبدال، والتقديم والتأخير، والزيادة والنقصان تندرج تحتها كلها فروع مختلفة.

أولا: الإبدال

(1) حاول بعض المعاصرين تقسيم المتشابه اللفظي فأوصله إلى أحد عشر نوعا هي: التقديم والتأخير، الإثبات والحذف، الإبدال، الجمع والإفراد، التذكير والتأنيث، التعريف والتنكير، الإظهار والإضمار، اختلاف الصيغة الصرفية، الإجمال والتفصيل، الاختلاف بالإضافة وعدمها، مع محاولة تفريع بعض الأنواع وتسميتها، كما في التقديم والتأخير واختلاف الصيغة الصرفية. يُنظر: "أثر دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني": لتهاني باحويرث، ص ص، 25-31 ، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، تحت الرقم: 4258390.

و" دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام: فهد الشتوي، ص ص، 101- 129 ، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، تحت الرقم: 42380297.

إلا أن هذا التقسيم لا يسلم من النقد للأسباب التالية:

-تأثره الواضح بتقسيم الإمام الزركشي، وعليه، ينسحب عليه ما قيل فيه.

-ذكر النوع الثامن "الإجمال والتفصيل" وهما من وسائل التعليل للمتشابه اللفظي بالنظر إلى سياق القصة في المواطن المختلفة، أما ما اختلفت فيه المواطن في التعبير فيمكن إدراجه – مثلا – إلى نوع الزيادة والنقصان.

-الخطأ في التمثيل على النوع: فمن تقديم الجملة وتأخيرها في "أثر دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني"، ص26 استشهد بقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ يس: ٢٠وقوله: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ القصص: ٢٠ والظاهر أنه تقديم شبه الجملة وليس الجملة.

– معظم التمثيل على الأنواع كان بآيات ليست من القصص على الرغم من أن الرسالة عن المتشابه اللفظي في القصص، وفي القصص من الشواهد الكثير.

وفيه إبدال الحروف والأسماء والأفعال والجمل:

أ/ إبدال الحرف بالحرف: – ومنه إبدال حرف العطف "ثم" في قوله تعالى: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢] بحرف العطف "الواو" في قوله تعالى ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ [طه: ٧١]

– إبدال حرف العطف الواو في قوله تعالى :﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥]بالفاء في قوله تعالى:﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩]

– إبدال حرف الجر "الباء" في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٣]بحرف الجر "اللام" في قوله تعالى:﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٤٩]

ب/ إبدال الاسم بالاسم: ومنه

– إبدال اسم ظاهر باسم ظاهر مختلف مثل إبدال كلمة "عظيم" في قصة نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٩]بـ "أليم" في قوله تعالى: ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [هود: ٢٦]

- إبـدال ضميـر بضمير آخـر كإبـدال ضمير جماعة المخاطبين "كـم" في قصـــة موسى عليه السلام في قوله تعـــالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[البقرة: ٦٣] بالضمير "هم" في قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ ﴾ [النساء: ١٥٤]

- إبدال الاسم الموصول باسم موصول آخر في قصة نوح – عليه السلام – في قوله تعالى:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٤] بالاسم الموصول "من" في قوله تعالى:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس:٧٣]

- إبدال صيغة بصيغة أخرى، والمقصود – هنا – أن تكون الصيغتان من نفس الجذر اللغوي، لكن قد تختلفان من حيث الوزن أو التعريف بـ "ال" أو بالإضافة أو التنكير:

* كإبدال صيغة جمع المؤنث السالم "خطيئات" في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦١] بصيغة جمع التكسير "خطايا" في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨]

* وإبدال صيغة اسم الفاعل "ساحر" في قوله تعالى:﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٢] بصيغة المبالغة "سحّار" في قوله تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٣٧]

* إبدال كلمة "عذاب" النكرة في قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤ ﴾ [هود: ٦٤]

بـ "عذاب يوم " المضافة إلى نكرة في قولـــه تعـالى: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥٦ ﴾ [الشعراء: ١٥٦]

*وإبدال كلمة "بلدا " النكرة في قصة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦ ﴾ [البقرة: ١٢٦] بكلمة "البلد " المعرفة بـ " ال " في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ ﴾ [إبراهيم: ٣٥]

ج/ إبدال الفعل بالفعل: ومنه :

* إبدال فعل بفعل آخر: كإبدال " فانفجرت" في قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠ ﴾ [البقرة: ٦٠] بـ " فانبجست " في قوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ١٦٠ ﴾ [الأعراف: ١٦٠]

وكإبدال الفعل المضارع " يفسقون " في البقرة : 59 بـ "يظلمون " في الأعراف: 162 وفعل الأمر " أرسل " في الأعراف : 111 بـ "ابعث" في الشعراء: 36

*إبدال صيغة بصيغة أخرى: والمقصود هو اشتراك الفعلين في الجذر اللغوي مع الاختلاف من حيث التجرد والزيادة، أو الزيادة نفسها، أو البناء للمعلوم والبناء للمجهول، ومنه:

-إبدال "تبع" في قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨] بـ "اتبع" في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه: ١٢٣]

-وإبدال "فأنجيناه" في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٤]بـ " نجّيناه " في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس: ٧٣]

-وإبدال " قلنا " المبنية للمعلوم في قوله تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨] بـ " قيل " المبنية للمجهول في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦١]

د/ إبدال الجملة بالجملة: ويأتي هذا كثيرا في عجز الآيات ومنه:

-إبدال جملة بجملة مثل إبدال جملة " ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٩] في قصة نوح عليه السلام بجملة ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٣]

-إبدال جملة بجملتين: مثل قوله تعالى:﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحجر: ٣١] في قصة آدم عليه السلام بـ ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [ص: ٧٤]

-إبدال جملتين بجملتين مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨] في قصة آدم عليه السلام بـ ﴿ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه: ١٢٣]

-إبدال عدة جمل بعدة جمل مثل الاختلاف الوارد بعد قوله تعالى: ﴿ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ ﴾ في آيتي [البقرة:60] و [الأعراف: 160].

هـ/ إبدال نوع بنوع آخر: وفيه إبدال فعل باسم مثل إبدال فعل " تُخرج " في قوله تعالى: ﴿ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٧]

بـ "مخرج" في قوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ الأنعام: ٩٥

ثانيا: الزيادة والنقصان

وهو نفسه الذكر والحذف، وما زيد في موطن يقابله نقصان في الموطن الآخر، لذلك سيشار إلى أنواعه بلفظ الزيادة فقط وهي:

أ/ زيادة الحرف: كزيادة حرف العطف " الواو " في قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨] وغيابها في قوله تعالى: ﴿ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

[الأعراف: ١٦١]

-وزيادة حرف العطف " الفاء " في قصة آدم عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦] دون آية الحجر، قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ

﴿ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر: ٣٩] وغيرهما من الحروف المختلفة كحرف النداء "يا" وهمزة الاستفهام، وحرف الجواب " إذاً "...الخ [1]

ب/ زيادة الاسم: كزيادة " رغدا " في قصة آدم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ البقرة: ٣٥ دون آية ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩]

وزيادة النعت مع منعوته مثل " سلطان مبين " في قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الزخرف: ٤٦ دون آية ﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ٤٥]، وزيادة البدل والمبدل منه مثل " أخاه هارون " في الزخرف: 46 دون المؤمنون: 45 ، وغيرها من الزيادات.

ج/ زيادة الجملة: مثل زيادة جملة " قلنا " في قصة آدم عليه السلام في قوله تعالى:

﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥] دون آية الأعراف: 19 وزيادة جملة " لا ضير " في قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٠] دون قوله تعالى﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٥]

د/ زيادة شبه الجملة: مثل زيادة " بسحره " في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٣٥]دون [الأعراف: 110]

---

(1) يُنظر في زيادة "يا " طه/94 دون الأعراف /150 – وهمزة الاستفهام الشعراء/41 دون الأعراف 13 – و "إذًا" الشعراء /42 دون الأعراف / 124.

ثالثا: التقديم والتأخير

ومنه:

أ/تقديم الاسم: مثل تقديم كلمة " قليلا " على الفعل " يؤمنون" في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ ﴾ [البقرة: ٨٨]وتأخيرها في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥ ﴾ [النساء: ١٥٥]

ب/ تقديم الجملة: مثل تقديم جملة " وقولوا حطة " على " وادخلوا الباب سجدا " من قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٦١ ﴾ [الأعراف: ١٦١] وتأخيرها في آية البقرة ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ ﴾ [البقرة: ٥٨]

ج/ تقديم شبه الجملة: مثل تقديم " بآياتنا " على " إلى فرعون وملئه " فيقوله تعالى في الأعراف: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٠٣ ﴾ [الأعراف: ١٠٣] وتأخيرها عليها في يونس: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٧٥ ﴾ [يونس: ٧٥]

المبحث الثالث: المتشابه اللفظي رؤية تاريخية

ذكر الخطيب الإسكافي في مقدمة كتابه " درة التنزيل وغرة التأويل " أن تأويل ورفع اللبس والإشكال لما تشابه من الآيات لفظا، لم يسبقه إليه أحد، حيث قال: << فما وجدت أحدا من أهلها بلغ غاية كنهها، كيف ولم يقرع بابها، ولم يفترّ عن نابها، ولم يسفر عن وجهها >>[1] وقد أيّده في ذلك ابن الزبير الغرناطي في مقدمة كتابه " ملاك التأويل " حيث قال: << إنه باب لم يقرعه ممن تقدم وسلف... أحد فيما علمته على توالي الأعصار... إلى أن ورد علي كتاب لبعض المعتنين من حِلّة المشارقة، نفعه الله، سماه بكتاب درة التنزيل وغرة التأويل، قرع به مغلق هذا الباب... وعرف أنه باب لم يوجف عنه أحد قبله بخيل ولا ركاب، ولا نطق ناطق قبلُ فيه بحرف مما فيه، وصدق رحمه الله فيما سلك وسنّ.>> [2] كما اعتبر بعض المعاصرين الخطيب الإسكافي هو أول من صنف في توجيه المتشابه. [3]

وإن كان "الإسكافي" يعتبر أول من فتح ميدان هذا الفن أمام العلماء،حيث كثر التأليف فيه من بعده، إلا أن الانتباه إلى وجود آيات متشابهة من حيث اللفظ ورصدها والتأليف فيها كان قد سبق إليه؛ فأول من صنف فيه – كما ذكر السيوطي – هو "الكسائي" (ت 189 هـ) في كتابه " متشابه القرآن " حيث قال في الإتقان: << أفرده بالتصنيف خلق أولهم فيما أحسب الكسائي>> [4] وقد صرح "الكسائي" في كتابه بالهدف من تأليفه فقال: << فإني إن شاء الله أذكر في هذا الكتاب ما تشابه بين ألفاظ القرآن، وتناظر من كلمات الفرقان، ليكون كتابنا عونا للقارئ على قراءته، وتقوية على حفظه، وأستقصي ذلك وأتبعه حتى لا يكون الناظر في كتابنا هذا

---

(1) الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، ، ج1، ص 217.

(2) ملاك التأويل: ج1، ص 146.

(3) عبد القادر الخطيب الحسني: مقدمة هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب، لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي،دار الفكر المعاصر، بيروت، 1994، ص 31.

(4) جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 461.

يحتاج إلى افتقاد ما تشابه عليه في غيره.>> [1] وبالنظر في مضمون الكتاب يتبين أن "الكسائي" كان وفيا لغايته ومقصده، حيث اقتصر على رصد وتحديد صور التشابه اللفظي المختلفة، والتكرار للآيات في القرآن الكريم، لكنه لم يتجاوز ذلك إلى مرحلة التساؤل عن سبب كل ذلك والغاية منه، ومحاولة توجيهه وتعليله، وكذلك الأمر في كتب التفسير التي سبقت كتاب " الإسكافي " أو تزامنت معه، فتحت عنوان أشهر ما دوّن من كتب التفسير بالمأثور، ذكر صاحب كتاب " التفسير والمفسرون " [2] ثلاثة كتب هي : جامع البيان للطبري (ت 310هـ) وبحر العلوم للسمرقندي (ت373) والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (ت 427هـ). ولعل أشهرها وأوسعها هو تفسير الطبري، فباستقراء بعض آيات المتشابه اللفظي في قصتي سيدنا آدم وسيدنا موسى عليهما السلام اتضح أن فكرة التوجيه والتعليل لهذا النوع من المتشابه لرفع ما فيه من إشكال أو التباس لم تكن واردة لديه، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ ﴾ [الأعراف: ١٩] قال: << فأسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه منها، وأباح لهما أن يأكلا من ثمارها من أي مكان شاءا، ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها >> [3] إلا أنه لم يشر إلى حذف كلمة " رغدا " ولا إدخال الضمير "ها" على حرف الجر "من" بدلا من ظرف المكان " حيث " ولا إلى زيادة " قلنا " كما هو الحال في قوله : ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ ﴾ [البقرة: ٣٥] .

وفي قصة سيدنا موسى عليه السلام في سورة الأعراف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١ ﴾ [الأعراف: ١٤١] يقول : << ..."وإذ أنجيناكم

---

[1] أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي: متشابه القرآن ، ت صبيح التميمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، طرابلس، ط1، 1994، ص 50.

[2] انظر محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، آوند دانش للطباعة والنشر، إيران، ط1 2005، ج1، ص 136.

[3] محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج10، ص 105.

من آل فرعون " وهم الذين كانوا على منهاجه في الكفر بالله من قومه، " يسومونكم سوء العذاب " يقول: إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيّئه، وقد بيّنا فيما مضى من كتابنا هذا ما كان العذاب الذي يسومهم سيئه، " يقتلون أبناءكم " الذكور من أولادكم، " ويستحيون نساءكم " يقول: يستبقون إناثهم، " وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم " يقول: وفي سومهم إياكم سوء العذاب اختبار من الله لكم ونعمة عظيمة >> [1] فلم يشر – هنا – إلى الاختلاف بينها وبين آية البقرة: 49 حيث جاء الفعل " نجّيناكم " بدل " أنجيناكم " والفعل " يُذبّحون " بدل "يقتّلون " وهي من الآيات التي وقف عندها مؤلفو كتب توجيه المتشابه اللفظي [2] إلا أنه في تفسيره للآيتين: 117/116 من سورة طه حول قصة سيدنا آدم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه: ١١٦ – ١١٧] وإن لم يشر إلى الاختلاف مع آية البقرة: 34 وآية الكهف 50 إلا أنه ذكر مسألة لغوية وعللها، وهي في قوله تعالى " فتشقى " حيث قال: << ولم يقل فتشقيا، وقد قال " فلا يخرجنكما " لأن ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام، فكان في إعلامه العقوبة على معصيته إياه، فيما نهاه عنه من أكل الشجرة الكفاية من ذكر المرأة، إذ كان معلوما أن حكمها في ذلك حكمه >> [3] وهي مسألة شبيهة بما ورد في قصة سيدنا آدم نفسها من الآيات المتشابهة، لكنها لم تحظ بالتعليل والتوجيه، فقد جاء في آية البقرة: 58 قوله تعالى: "اهبطوا منها جميعا " وفي آية طه: 123 قوله تعالى: " اهبطا منها جميعا " وفيها تحول من خطاب الجمع إلى خطاب المثنى، كما كان الانتقال من المثنى إلى المفرد في آية طه السابقة. ولعل عدم الوقوف عند تلك الآيات المتشابهة لفظا لبيان أسباب اختلافها وتوجيهها التوجيه الذي يكشف عن دقة التعبير القرآني وإعجازه راجع إلى << عدم الحاجة إلى مثل هذا النوع من مباحث التفسير في زمنهم [أي المفسرين الأوائل] لأنه لم ينضج إلا عندما صنفت الكتب في الرد على الطاعنين في القرآن وتآلف

---

(1) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج10، ص ص 414-415.

(2) ينظر – مثلا – ملاك التأويل: ج1، ص 197. – ودرة التنزيل: ج1، ص 230.

(3) الطبري: المصدر السابق : ج16، ص 186.

نظمه، ولأن هذا الضرب من التفسير لم يرد فيما أثر من الأحاديث والآثار وغيرها من كلام السلف، فقلت عنايتهم بذلك لذلك، وكانت كتب التفسير بالمأثور خالية من هذا النوع >> [1]

ومن أهم الكتب التي صنفت في الرد على المطاعن الموجهة للقرآن، وهي قريبة عهد من زمن الإمام الإسكافي كتاب " الانتصار للقرآن " للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت 402 هـ) والذي حكى فيه شبهة حول القرآن لها ارتباط وثيق بموضوع البحث، ذكرها في باب الكلام في معنى التكرار وفوائده ونقض ما يتعلقون به فيه، حيث قال: << قالوا وما يدل على فساد نظم القرآن ووقوع التخليط فيه كثرة ما فيه من تكرار القصة بعينها مرة بعد مرة، وتكرار مثلها وما هو بمعناها، تكرار اللفظ والكلمة بعينها مرات كثيرة متتابعة والإطالة بذلك، وذلك – زعموا – عِيّ وحشو للكلام بما لا معنى له، واستعمال له على وجه قبيح ضعيف مستغثّ في اللغة، قالوا: وإن لم يكن الأمر على ما وصفناه فخبرونا ما الفائدة بتكرار القصة الواحدة والقصص المتماثلة >> [2]

وقد جاء رد الإمام الباقلاني على هذه الشبهة بأوجه مختلفة منها أن التكرار جاء على عادة العرب وأسلوبها، فهي تطيل وتكرر إذا كان ذلك أبلغ، وتختصر عندما يكون الاختصار كذلك، أو لتثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم، أو من أجل الزجر والوعظ، ويكون أنسب له إذا كان هذا التكرار في أوقات متغايرة وأسباب مختلفة، ويستغثّ إذا كان في موقف واحد وسبب واحد. [3]

وقد اكتفى الإمام الباقلاني بهذه الردود دون أن يمثل لها على عكس ما فعله في التكرار التام من دون أي اختلاف لبعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكافرون: ٣] وقوله: ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المرسلات: ١٥] ، وقوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرحمن: ١٣] وكان يلتمس التعليل لكل ذلك بالنظر إلى علاقة الآية بما قبلها، واختلاف هذه العلاقة في كل موطن من مواطن التكرار، لينفي بذلك كونه من باب التكرار، ففي تعليله لتكرار آية المرسلات قال: << فهو أنه ذكر فيها تعالى أمرا بعد أمر من خلقهم وأهل الكفر والطغيان من

---

[1] عبد القادر الخطيب الحسني: مقدمة هداية المرتاب للسخاوي، ص ص 35 36.

[2] أبو بكر الباقلاني: الانتصار للقرآن ، ت محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2001، ج2، ص 800.

[3] يُنظر الرد كله في المصدر نفسه : ج2، ص ص 800 – 803.

عباده خَلَفِهم بسلفهم، ثم قال عقيب كل شيء يذكره من ذلك، فويل يومئذ للمكذبين بهذا الشيء الأول الذي ذكرته، فالويل الثاني غير الويل الأول، وربما كان لغير من له الويل الأول، كأن المكذب بالويل الأول مما ذكر غير المكذب الثاني... فخرج ذلك عن أن يكون تكرارا... لأن القائل قد يقول: ويل لمن كفر نعمتي وويل لمن جحد حقي، وويل لمن ظلمني وويل لمن كذب علي في أمثال ذلك مما لا يعده أحد من أهل اللسان عِيّا ولا لكنا وإطالة وتكرارا >> [1] ، وهي نفس النتيجة التي خلص إليها بعد تعليل كل تلك الآيات التي مثّل بها، وهي كلها لا تدخل في نطاق المتشابه اللفظي الذي تم تحديده، كما أنها بعيدة عن مجال القصص الذي استهل به هذا الباب في كتابه ليرد على شبهة التكرار فيه، فحبذا لو كانت هناك أمثلة مما تكرر من آيات القصة القرآنية الواحدة – وما أكثرها – ثم حُلّلت بمثل تحليل الآيات التي مثل بها، فهل سينفي عنها صفة التكرار مع اختلاف بعض ألفاظها، كما نفاها عن تلك الآيات مع اتفاق كل ألفاظها؟! وإذا، سيكون رده وتحليله أهم مدخل للتأليف في توجيه المتشابه اللفظي.

هذا، وقد كثر التأليف بعد الإمام الإسكافي في هذا الميدان إلى عصرنا الحالي، وأخذت كثير من كتب التفسير تعنى بمواطن الآيات المتشابهة معللة وموجهة في سياق تفسيرها للقرآن الكريم كما فعل الإمام الزمخشري والإمام الرازي والإمام الشعراوي، وغيرهم من المفسرين، أما الكتب التي أفردت الآيات المتشابهة بالتأليف وحذت حذوه، فأمها قديما مما تم الوقوف عليه:

- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب االإسكافي (420 هـ)
- البرهان في توجيه متشابه القرآن: لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت 505 هـ)
- ملاك التأويل: لابن الزبير الغرناطي (ت 708 هـ)
- كشف المعاني في المتشابه من المعاني: لبدر الدين بن جماعة (ت 733 هـ)
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن : لزكريا الأنصاري (ت 926 هـ)

أما ما أُلف فيه حديثا مما تم الوقوف عليه أيضا :

---

[1] المصدر السابق: ج2، ص 805 بتصرف يسير.

- من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: لمحمد بن علي بن محمد الصامل
- البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال ملاك التأويل: لإبراهيم بن عبد العزيز الزيد
- المتشابه اللفظي وأسراره البلاغية: لصالح بن عبد الله الشثري.
- أثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني: لتهاني بن سالم بن أحمد باحويرث.
- دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام: لفهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي.
- الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني في المتشابه من الألفاظ والتراكيب: أحمد محمد أمين إسماعيل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

دلالة المتشابه اللفظي في القصص القرآني

المبحث الأول: منهج القرآن في عرض القصة

المبحث الثاني: دلالات المتشابه اللفظي في القصص القرآني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: منهج القرآن في عرض القصة

تضمن القرآن الكريم قصصا كثيرة شغلت حيزا كبيرا فيه، حتى غدت من أهم المحاور التي تشكل بنيته، إلا أن العناية بالقصة فيه وإفرادها بالتأليف ودراستها من جوانب مختلفة سواء من حيث الشكل أو المضمون لم يظهر إلا في العصر الحديث، ولعل هذا راجع إلى العناية التي حظي بها فن القصة في الأدب العربي، تأليفا ونقدا، بعد ما كان الشعر هو الفن الذي يلقى العناية الكبرى من قبل الأدباء والنقاد، يقول أحد الدارسين معلقا على كتاب " تاريخ النقد الأدبي عند العرب" لإحسان عباس: << نتبين بدهشة شديدة أنه اقتصر فيه على دراسة النظرية الشعرية، وبالشكل الذي طرحت فيه قديما، ولم يتطرق إلى النثر إلا لماما في لمحات نادرة، الأمر الذي يحملنا على القول إن حق المؤلف أن يسميه " تاريخ النقد الشعري عند العرب " إذ أنه لم يتطرق فيه حتى إلى ما درج الباحثون على دراسته من أبواب النثر، وهي في العصر الجاهلي الخطب والوصايا والمحاورات والحكم والأمثال، وأضيف إليها في العصور التي تلت الرسائل والمقامات وعلوم الحديث واللغة والكلام والتاريخ >> [1] وكان سبب هذا الالتفات إلى فن القصة وأهميته هو الاحتكاك بالأدب الغربي الذي ارتقى فيه هذا الفن ارتقاء كبيرا، وبخاصة في القرن التاسع عشر، مما جعل بعض النقاد يذهب إلى أن فن القصة بالمقاييس الفنية المعاصرة حديث النشأة في الأدب العربي يقول شوقي ضيف: << ... فإن هناك فنونا نثرية استحدثناها وأنشأناها إنشاء مستلهمين في إنشائها أعمال الغرب، وما أقامه – ويقيمه – فيها من نماذج مختلفة، وهي المقالة والقصة والمسرحية >> [2]، فلا ضير إذاً من وجود كتابات حول القصة القرآنية تدرس فيها الجوانب الفنية التي يذكرها نقاد الفن القصصي كدراسة الشخصية والزمان والمكان والحوار والسرد، أو كتقسيمها وفق التقسيمات المختلفة باختلاف المعايير المعتمدة كالحديث عن القصة الطويلة والقصيرة أو القصة التاريخية والنفسية والتعليمية. ودراسة القصة القرآنية بهذه الرؤى الجديدة لا وجود له في كتابات السابقين ممن تعرضوا للقصص القرآني بالتأليف ككتاب " قصص الأنبياء " لابن كثير – مثلا- إلا أن هناك نقطة يجب التنبيه إليها وهي

---

[1] طلال حرب: أولية النص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999، ص 26.

[2] شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، مصر، ط3، دت، ص 204.

أنه لا يمكن إنكار ما لهذه الرؤى الجديدة للقصة القرآنية من إيجابيات، حيث أصبحت جزءا من الدراسات القرآنية التي تلقى عناية كبيرة من الدارسين، فكثرت فيها التآليف المختلفة التي أسهمت في فهم أعمق للقصص القرآني [1]، لكنها – أي هذه الرؤية الجديدة – ليست هي القول الفصل في هذا الفهم، بحيث تخضع لها القصة القرآنية خضوعا مطلقا، لأنها هي في حد ذاتها مجرد اجتهاد، فدراسات النقد في مجال فن القصة في كل يوم تأتي بالجديد، فمثلا عندما يقسم بعضهم القصة القرآنية معتمدا معيار الحجم إلى قصة طويلة وقصة قصيرة كما هو سائد في القصة الحديثة، فليس معنى ذلك أن مفهوم القصة الطويلة في الأدب ينطبق بالضرورة على ما يعد قصة طويلة في القرآن، فقد عُرّفت القصة الطويلة والتي يصطلح على تسميتها بالرواية، يقول أحد الكتاب المعاصرين معرفا لها بأنها: << تجربة أدبية تصور بالنثر حياة مجموعة من الشخصيات، تتفاعل مجتمعة لتؤلف إطار عالم متخيل، غير أن هذا العالم المتخيل الذي شكله الكاتب ينبغي أن يكون قريبا مما يحدث في الواقع الذي يعيش فيه، أي أن الشخصيات في الرواية يجب أن تكون ممكنة الحدوث في واقع الكاتب. والحياة الروائية حياة ممتدة في الزمان إلى حد ما، فقد تمتد إلى سنة أو عدة سنوات. ولا شك أن هذا الامتداد الزمني يؤدي إلى نوسع التصوير وبالتالي إلى اتساع حجم الرواية التي تعد أطول الأشكال القصصية حجما >> [2] وهذا المفهوم لا يتوفر في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، التي تعتبر قصة طويلة عند بعض من قسم القصص القرآني وفق هذا المعيار، إن من حيث عدد صفحاتها أو حتى في الحديث عن الشخصيات ووصفها أو عن الأحداث والمكان وغيرها من خصائص القصة الطويلة، لذلك تحدث من ألفوا في القصص القرآني عن خصوصيته في عرضه للقصة تجعله مختلفا عن الفن القصص البشري، يقول سيد قطب: << القصة في القرآن كما هو الشأن ليست عملا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى

---

(1) من هذه الكتب: منهج القصة في القرآن لمحمد شديد، القصة في القرآن لمحمد قطب، الوحدة الفنية في القصة القرآنية لمحمد الدالي، القصص القرآني لعبد الكريم الخطيب وغيرها من المؤلفات

(2) طه ندا: فن القصة، بحث ضمن كتاب: المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية، إصدار قسم اللغة العربية، جامعة قطر، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة، ط1، 1987، ص 51.

أداء فني طليق، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية >> [1] وفي السياق نفسه يقول أحد الدارسين : << لا يخفى على الباحث المتأمل أن القرآن ليس له عادة معلومة، أو قاعدة مطردة في ذكر القصص والأخبار، بل له في ذلك مناحٍ وأساليب في غاية الدقة، فأحيانا يسرد القصص سردا حسب ترتيبها، وأخرى يعدل عنه إلى ترتيب آخر تقتضيه حكمة البيان >>[2] لذلك كانت الوسيلة الناجعة في لمعرفة أنواع القصة القرآنية أو خصائصها هو القرآن نفسه، وذلك بتتبع مواطنها في السور المختلفة، وقد كان لتنويع القرآن في عرضها مجال واسع لاختلاف الرؤى وزوايا النظر لدى الباحثين مما يكشف عن عطاء النص القرآني الذي يبقى دائما يمد متأمليه بأفكار جديدة تناسب تطورهم الفكري في الزمان الذي يعيشون فيه.

هذا، وتجدر الإشارة – هنا – إلى خاصية عامة للقصص القرآني لم يخالف فيها كل من تعرض لدراسته، وأصبحت محورا تنبثق منه كل الملامح والسمات التي تطبعه، وهي خضوعه لمقتضى الغرض الديني الذي صرح القرآن الكريم ببعض أهدافه ولم يصرح ببعضها متروكة للتأمل والتدبر، حيث <<إن القصة قد ساقها الله لتأكيد قيم دينية شتى، فهي تحارب الوثنية، وتؤصل المبادئ الخلقية، فتدعو إلى العزة النفسية والكرامة الإنسانية، كما تطمئن صاحب الرسالة وتواسيه في شدائده، إذ يرى أنه ختام رائع لأناس حملوا الدعوة ولاقوا صعاب الرسالة، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله من عنت الضالين، وبغي الكافرين، وقد أفصح القرآن عن بعض ذلك حين قال مخاطبا النبي الكريم"وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك (هود/120)>>[3].

وعليه، يمكن تحديد بعض ملامح القصة القرآنية بالنظر إليها من الزوايا المختلفة التالية:

أولا: من حيث الحجم: اعتمد هذا المعيار في النظر إلى القصص القرآني، وعلى ضوئه قسمت القصة القرآنية إلى قصة طويلة وقصة قصيرة، حيث << إن القصص القرآني كان سابقا على تلك التقسيمات الحديثة التي وصل إليها النقاد المحدثون من تقسيم القصة إلى قصة طويلة وقصة قصيرة

---

[1] سيد قطب: التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق، القاهرة، ط16، 2002، ص 143.

(2) محمد عناية الله أسد سبحاني: إمعان النظر في نظام الآي والسور، دار عمار، الأردن، ط1، 2003، ص ص 203،204.

[3] محمد رجب البيومي: البيان القرآني ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط2، 2005، ص 151.

وما إلى ذلك، ومع ذلك فإن المتتبع لهذا القصص القرآني يجده قد تنوع من حيث الطول أو القصر حسب المقام الذي اقتضى هذا القصر أو ذاك الطول >> [1] ومن القصص التي عدت طويلة قصة سيدنا يوسف وقصة سيدنا موسى عليهما السلام لكثرة ما فيهما من أحداث وتفاصيل مقارنة بباقي القصص، أما القصة القصيرة فمثالها قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة الصافات (من الآية 100 إلى 107) ف << في ستين كلمة اكتملت قصة معجزة.. من ناحية الزمن فترة محدودة للغاية، فهذا أب يهمّ بقتل ابنه وتله للجبين، فيوحي إليه ربه قد صدقت الرؤيا فينقذ الابن، ومن ناحية الموضوع فإنه يتلخص في أب يقول لابنه إنه قد أوحي إليه أن يقتله فيستجيب الابن، ومن ناحية الأشخاص فهما اثنان لا ثالث لهما، ومن ناحية البداية والقمة والنهاية، فالبداية " رب هب لي من الصالحين والقمة " افعل ما تؤمر" و " تله للجبين " والنهاية " وفديناه بذبح عظيم" >> [2] وحتى القصة القصيرة وردت في القرآن الكريم على ألوان شتى << فتارة تكون عبارة عن تلخيص مركز زافا لأحداث قصة طويلة كقصة سيدنا موسى في سورة النازعات (من الآية 15 إلى الآية 26) وتارة تكون تصويرا لحادث كان معروفا زمن التنزيل كقصة أصحاب الكهف وقصة أصحاب الأخدود، وتارة تكون في صورة مجموعة من قصص الأنبياء تجمع بينها وحدة الموضوع والهدف وكأنها قصة قصيرة واحدة كمجموعة قصص الأنبياء في سورة القمر >> [3] هذا، وقد عُدّت قصص بعض الأنبياء من القصص القصيرة ف << قصص هود وصالح ولوط وشعيب مع تكرارها قصيرة لأنها تعرض حلقة الرسالة وحدها فتتضمن الرسالة الحوار مع قومهم وتكذيب هؤلاء القوم ثم إهلاكهم جميعا >> [4].

ثانيا: من حيث الإجمال والتفصيل: وهو معيار له ارتباط بالمعيار السابق، فما ورد على شكل قصة طويلة يقتضي شيئا من التفصيل في عرض أحداثها وشخصياتها، وما ورد على شكل قصة قصيرة يقتضي إجمالا، كقصة موسى عليه السلام في سورة النازعات، إلا أنه ليست كل قصة قصيرة هي

---

[1] عمر محمد عمر باحاذق: أسلوب القرآن بين الهداية والإيجاز البياني: ، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1994، ص 227.

[2] المرجع نفسه: ص 233 بتصرف يسير.

[3] محمد شديد: منهج القصة في القرآن ، شركة عكاظ، الرياض، 1984، صص 42،43 بتصرف يسير.

[4] سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 167.

إجمال لقصة طويلة، فقد تكون حدثا مستقلا من مجموع أحداث تفرق ذكرها في القرآن تشكل في مجموعها أحداث القصة ككل، وعليه فقد تكون هذه القصة مفصلة وإن لم ترد طويلة، يقول سيد قطب في القصة المفصلة: << وكذلك قصة عيسى مع شيء من الاختصار في حلقاتها الوسطى، يذكر مولده بتفصيل كامل، وتذكر معجزاته بتوفيه، وتذكر قصته مع الحواريين حين طلبوا المائدة فأنزلت إليهم، وتذكر حلقة تكذيبه ومحاولة صلبه ورفعه وتفرق قومه من بعده >> [1] وقد يكون الإجمال والتفصيل للقصة في موضع واحد حيث تعرض القصة مجملة ثم يعقب الإجمال تفصيل، كقصة أصحاب الكهف، فبعد قوله تعالى ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾** ﴾ [الكهف: ٩ – ١٢] فهذا: << ملخص للقصة، ثم تتبعه تفصيلات تشاورهم قبل دخولهم الكهف، وحالتهم بعد دخوله، ونومهم، ويقظتهم، وإرسالهم واحدا منهم ليشتري لهم طعاما، وكشفه في المدينة، وعودته، وموتهم، وبناء المعبد عليهم، واختلاف القوم في أمرهم. >> [2]

ثالثا: من حيث التوحد والتكرار: إن كل قارئ للقرآن الكريم سيعلم أن هناك قصصا لبعض الأنبياء تكرر معه في العديد من السور، ويختلف هذا التكرار من قصة إلى أخرى من حيث الكثرة، فمن القصص التي تكررت كثيرا قصة سيدنا موسى ونوح وآدم عليهم السلام، أما القصص التي ذكرت مرة واحدة فمنها قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين.

ويذهب بعض الدارسين قديما وحديثا إلى أنه بالتأمل الدقيق في مواضع التكرار يتبين أنه ليس هناك تكرار مطلق، يقول ابن الزبير الغرناطي معلقا على أشد القصص تكرارا، وهي قصة سيدنا موسى عليه السلام: << وقلّ ما تجد في الكتاب العزيز ورود تسليته عليه السلام إلا معقبة بقصة موسى عليه السلام وما كابد من بني إسرائيل وفرعون، وفي كل قصة منها إحراز ما لم تحرزه الأخرى من

---

[1] المرجع السابق: ص 165.

[2] المرجع نفسه: ص 181.

الفوائد والمعاني والأخبار حتى لا تجد قصة تكرر، وإنه وإن ظن ذلك من لم يمعن النظر، فما من قصة من القصص المتكرر في الظاهر إلا ولو سقطت أو قُدّر إزالتها لنقص من الفائدة ما لا يحصل من غيرها >> [1] وفي تعليقه على نفس القصة عند حديثه عن موقف موسى عليه السلام حين دعي إلى لقاء فرعون وتخوفه من ذلك اللقاء، ومقارنته للزيادات بين الآيات، قال عبد الكريم الخطيب: << إذا كانت هذه السور قد أمكن أن تجتمع في مقام واحد فتتألف منها صورة واحدة مع احتفاظ كل واحدة منها بمشخصاتها ومقوماتها، فكيف يقال بعد هذا عن العرض القصصي في القرآن على هذا الأسلوب إنه تكرر، وأن من هذا التكرار تولد القول بإحالة هذا القصص.>> [2]

وفي الحقيقة، إن البحث في هذه المسألة وتعليلها هو الذي تحاول هذه الدراسة المتواضعة بيانه في المباحث الآتية.

رابعا: من حيث طريقة السرد: تمت الإشارة من قبل إلى أن القرآن قد يفصل في ذكر أحداث القصة وقد يجملها، لكن حتى وهو يفعل ذلك يمكن لمح بعض الخصائص أو الميزات التي تجعل من هذا القصص متميزا أو متفردا في عرضه. من ذلك:

أ/ التعقيب القصصي: والمقصود به تلك التعليقات التي تأتي عقب سرد أحداث القصص كما جاء في قصة سيدنا داود علي السلام في قوله تعالى ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٦ – ٢٩]

---

[1] أحمد بن الزبير الغرناطي: البرهان في ترتيب سور القرآن، ت محمد شعباني، مطابع فضالة، المغرب، 1990، ص 263.

[2] عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني، دار المعرفة،بيروت، دت، ص 248. وينظر مثل هذا الرأي في: محمد الدالي: الوحدة الفنية في القصة القرآنية ، ص6. وسيد قطب:التصوير الفني: ص 162.

<< فهذا كله تعقيب على القصة، أو قل هي الحقائق المضمرة في ثنايا القصة، والتي تنكشف لبعض الناس، ولا تنكشف لكثير منهم.. فكان إبرازها على تلك الصورة في أعقاب القصة مما اقتضته حكمة الحكيم العليم.. حرصا على تمام الإفادة مما في القصة من عبر وعظات، ورحمة بمن قصرت أفهامهم عن أن تدرك شيئا وغابت عنها أشياء >> [1]

وحتى هذا التعقيب قد تنوع وروده في القصص القرآني، فهو يأتي على قسمين << . قسم يتكرر فيه التعقيب الواحد بعد مجموعة من قصص الأنبياء التي ترد في سورة واحدة، والسور التي نجد فيها هذا الضرب من التعقيب هي سورة الشعراء وسورة الصافات وسورة القمر . وقسم يتنوع فيه التعقيب وتنوع مواقعه التي يقع فيها >> [2] وقد رصد أحمد أبو زيد صاحب هذا التقسيم أمثلة القسمين، فذكر من أمثلة القسم الأول تكرر التعقيب على القصص في سورة الشعراء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ أما القسم الثاني مما تنوعت صيغه، فقد ذكر ما يأتي في مستهل العرض القصصي كما في قصة مريم في سورة آل عمران، إذ افتتحت القصة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ثم حوّل الخطاب إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[آل عمران: ٤٤] ثم استؤنف عرض بقية مشاهد القصة. وما يأتي في تضاعيف العرض القصصي كما هو الأمر في سورة الأعراف حيث ورد بعد قصص كل من نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، وفيه بيان لسنة الله المطردة في أخذ المكذبين، ثم ختم التعقيب بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ

---

[1] المرجع السابق: ص 162.

[2] أحمد أبو زيد: التناسب البياني، طبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1992، ص 98.

لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠١ – ١٠٢] ثم استؤنف العرض القصصي بعد ذلك بعرض حلقات مفصلة من قصة سيدنا موسى عليه السلام.[1]

ب/ أول القصة ونهايتها: اختلفت طريقة القرآن في تناول حياة الأنبياء في قصصه، فمن الأنبياء من ذكرت الأحداث المتعلقة بميلاده إلى أن أصبح نبيا رسولا مكلفا بتبليغ رسالة ربه، ومنهم من اقتصرت على سرد أحداثه إبان الدعوة والتبليغ فلا يعلم شيء عن حياته السابقة، وفي هذا يقول سيد قطب: << فمرة تعرض القصة من أولها، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها، وتارة تعرض كاملة، وتارة يكتفى ببعض حلقاتها، وتارة تتوسط بين هذا وذاك، حسبما تكمن العبرة في هذا الجزء أو ذاك >> [2] ثم يضرب بعد ذلك أمثلة عن تلك القصص، فمما عرضت حلقتها الأولى، حلقة الميلاد، قصص كل من آدم وموسى وعيسى عليهم السلام، وممن عرضت حياتهم في حلقة متأخرة جدا، حلقة الرسالة، ولا يعلم شيء عن حياتهم السابقة نوح وهود وصالح عليهم السلام. [3]

ج/ الإيجاز والحذف: إن خضوع القرآن لمقتضى الغرض الديني جعله يذكر من الأحداث الأهم الذي يكون محل العبرة، مهملا كثيرا من الأحداث التي وقعت على تباعد ما بينها من زمان أو مكان، وفي هذه الطريقة يقول أحد الدارسين: << للقرآن طريقة مطردة في عرض قصص السابقين، فلم يكن هدفه الاستعراض الشامل الدقيق لأحداث القصة، ولا متابعة كل وقائعها بالتفصيل الدقيق، ولا السرد التاريخي المنظم ... الذي يعني القرآن أثناء القص لقصصه هو المشاهد واللقطات التي تحوي الدروس والدلالات، وتقدم العبر والعظات، فتجده يوردها ويسجلها ويثبتها لتقدم دروسها.>> [4]

ففي قصة سيدنا يوسف، عليه السلام، لما أبقى أخاه معه بعدما وجد صواع الملك في رحله، يصور القرآن حوار الإخوة فيما بينهم في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ

---

(1) المرجع السابق : ص ص 120،122. بتصرف.

(2) سيد قطب:التصوير الفني: ص 162.

(3) ينظر المرجع نفسه: ص 164.

(4) صلاح الخالدي: القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط1 1998، ج1، صص 39،40.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف: ٨٠ – ٨٢] يعلق سيد قطب على ذلك: << وهنا يسدل الستار، لنلتقي بهم في مشهد آخر لا في مصر ولا في الطريق، ولكن أمام أبيهم، وقد قالوا له ما وصاهم به أخوهم دون أن نسمعهم يقولونه، إنما يرفع الستار مرة أخرى لنجد أباهم يخاطبهم ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يوسف: ٨٣]... وهنا يسدل الستار ويطوون الطريق لا نعلم عنهم فيه شيئا، إنما يرفع الستار فنجدهم في مصر أمام يوسف ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[يوسف: ٨٨] [1]

د/ التنويع بين السرد الإخباري والسرد الحواري: يعرض القرآن كثيرا من الأحداث في قصصه على طريقة الحوار بين الشخصيات، وتارة يعرض بطريقة السرد الإخباري دون الاعتماد على الحوار، وفي هذه الخاصية يقول سليمان عشراتي: << والسياق القرآني يأتي أحيانا حواريا في جملته تقريبا، كما هو عليه مثلا في قصة نوح بسورة الأعراف، فقد اختزلتها السردية كلية في إطار حواري [الأعراف 59، 60] وتورد السردية ذات الموضوع القصصي في سورة يونس بسياق إخباري خال من الحوارية [يونس 71، 73]... كما ينحو الخطاب أحيانا منحى سرديا، لكنه سرعان ما يسترجع حواريته كشفا للموقف، وتنويرا له من الداخل بإيراد تصريحات الفاعلين >> [2]

---

[1] سيد قطب: التصوير الفني، ص ص 188، 189.

[2] سليمان عشراتي: الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1998، صص 187،188.

هـ/ عبارات الاستهلال السردي: اختار القرآن الكريم عبارات خاصة يستهل بها قصصه، تكررت بكثرة حتى في القصة الواحدة، من ذلك " ولقد أرسلنا " حيث استعملت في قصة نوح عليه السلام، في الأعراف/59 وهود /25 و المؤمنون /23 والعنكبوت/14، كما وردت في قصة موسى عليه السلام في هود /96 وغافر/ 23 والزخرف/ 46، وقد يحدث تغيير طفيف في الصيغة مثل " إنا أرسلنا " في سورة نوح 1، أو " ثم أرسلنا " في قصة موسى في المؤمنون/ 45.

ومن العبارات كذلك " إذ قال " التي كثرت في قصة سيدنا آدم عليه السلام، كما في البقرة/ 30 والحجر/ 28 وص/ 71 وفي قصة موسى عليه السلام في النمل/ 7 وفي قصة لوط عليه السلام في الأعراف/ 80 والنمل/ 54 والعنكبوت/ 26 وفي قصة إبراهيم عليه السلام في العنكبوت/ 16 والزخرف/ 26. وقد تتغير الصيغة تغيرا طفيفا مثل " وإذ قلنا " في قصة سيدنا آدم عليه السلام، في الإسراء/ 61 والكهف/ 50 وطه/ 115.

هذا، وهناك عبارات أخرى تكررت في القصص، لكن تكرارها كان محدودا مثل " هل أتاك حديث " و " اتْلُ عليهم نبأ ". وعلى الرغم من التطور الذي حصل لفن القصة في الأدب العربي بعد نزول القرآن الكريم، فإن هذه الصيغ بقيت تميز القصص القرآني في عملية السرد، ولم يحاكها كتاب القصة قديما وحديثا.

المبحث الثاني:

المتشابه اللفظي ودلالاته في القصص القرآني

نزل القرآن الكريم بلغة العرب داعيا لهم إلى اتباع الرسالة التي يحملها إليهم، جاعلا اللغة التي يخاطبهم بها وسيلته في تحديهم وإثبات صدق النبي – صلى الله عليه وسلم – قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يونس: ٣٨ وقد أثبت الواقع عجز العرب عن مباراة القرآن في أسلوبه، ودقة استعماله للغة التي يتخاطبون بها فيما بينهم، بحيث لا يمكن استبدال كلمة بأخرى في تراكيبه، ولا تقديم ما أخره أو تأخير ما قدمه دون أن يحدث خلل في المعنى الذي يرمي إليه، هذه هي النتيجة التي توصل إليها كل من تدبر القرآن وعُني بتفسيره من العلماء السابقين، أو الذين جاؤوا من بعدهم، وفي سياق هذا المعنى يقول صاحب التعبير القرآني: << ثم قررت أن أدرس النص القرآني بنفسي فبدأت أجري موازنات بين كثير من الآيات من حيث التشابه والاختلاف والتعبير، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف وما إلى ذلك من أمور لغوية وبلاغية ومعنوية وأفحصها فحصا دقيقا فراعني ما رأيت من الدقة في التعبير والإحكام في الفن والعلو في الصنعة. وجدتُ تعبيرا فنيا مقصودا حُسب لكل كلمة فيه حسابها بل لكل حرف بل لكل حركة.>> [1]

والدارس يجد العلماء قد عنوا بدراسة مفرداته، وما تدل عليه من معنى، كما قاموا بإعرابه فبينوا – إضافة إلى المعنى المعجمي للكلمة – وظائفها النحوية التي تضبطها علاقتها بالكلمة التي ارتبطت بها داخل التراكيب المختلفة، وقد وضع العلماء مصطلحات كثيرة لجوانب دراستهم للدلالة اللغوية أو غير اللغوية، فكان لأهل اللغة والبلاغة والمفسرين والأدباء تقسيم، ولأهل الأصول والمنطق والفلسفة تقسيم [2] ولم يقتصر هذا التعدد الاصطلاحي على القدماء، وإنما امتد إلى عصرنا، حيث تطورت الدراسات الدلالية تطورا كبيرا، يقول هادي نهر: << ... كما هو الحال عند الدلاليين المعاصرين الذين كثرت عندهم أنواع الدلالة والمصطلحات بما يطول مقام بيانه مفصلا، فقد صرنا

---

[1] فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، ط5، 2007، ص 7.

[2] انظر هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي،عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008، ص 173.

نسمع بالدلالة المعجمية، والمركزية، والأساسية، والتصورية، والإدراكية، والإضافية، والعوضية والثانوية، والتضمنية والأسلوبية، والنفسية، والإيحائية، والسياقية، وغير ذلك من المصطلحات التي يمكن أن تضيق دوائرها، وإدخال بعضها في بعض طلبا للبيان والاختصار >> [1] وعليه، فإنه سيتم اختيار التقسيم الأكثر إجرائية في فهم وتفسير المتشابه اللفظي في القصص القرآني، والذي يتضمن الدلالة المعجمية والصرفية والنحوية والصوتية والسياقية. [2] ثم إن هذا الفصل بين الدلالات في الدراسة لا يعني عدم تداخلها فيما بينها واعتماد بعضها على بعض في كشف المعنى أو الدلالة، فهي تدخل فيما بينها في جدل يؤثر بعضها في بعض، أو يفتقر بعضها إلى بعض في بيان معناه أو دلالته، ففي بيان علاقة المعنى المعجمي بالمعنى الصرفي – مثلا – يقول أحد الباحثين : << فلا يكفي لبيان معنى " استغفر " بيان معناه المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية " غ ف ر " بل لا بد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة وهي هنا (استفعل) أو الألف والسين والتاء التي تدل على الطلب>>[3] بل إن الأمر يتعدى إلى العلاقة بين كل المستويات الدلالية ، حيث << أن الكلمة في السياق تستوعب زيادة على معناها المعجمي قيما دلالية محددة وقيما إضافية أخرى من انتماء إلى قسم من أقسام الكلام، واكتساب القدرة على ما نسميه (المقولات الصرفية) من اشتقاق أو جمود أو زيادة أو حذف...الخ وعلى ما نسميه (المقولات النحوية) من جنس وعدد وتعريف وتنكير وزمان ومكان وفاعلية ومفعولية وحالية وتمييزية وغير ذلك من مشمولات الكلام الأساسية (المسند والمسند إليه) ... ولهذا لا يمكن الوقوف على المعنى المحدد للكلمة إلا من خلال إنجازها أو أدائها في سياق مقالي أو مقامي محددين >> [4] لذلك، قد تدفع الضرورة عند الوقوف عند كل نوع من أنواع الدلالة إلى الاستعانة بالدلالات الأخرى، إذا كان ذلك يسهم في تجلية المعنى، وإزالة الالتباس أو الاستشكال في مواطن المتشابه اللفظي في القصص القرآني.

أولا: الدلالة المعجمية:

---

(1) المرجع السابق: ص 176.

(2) اعتُمد في اختيار هذه التقسيمات على كتب:- المعنى وظلال المعنى: محمد محمد يونس علي – علم الدلالة التطبيقي هادي نهر- علم الدلالة : أحمد مختار عمر.

(3) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1992، ص 13.

(4) هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي، ص 241.

وهي أول مستوى على الباحث الوقوف عنده من أجل تحديد المعنى، إذ << تمثل وحدانية المعنى، وثبوت العلاقة بين الكلمة (الدال) والمسمى بها (المدلول)، فكل لفظ يقابله معنى مركزي، أو مسمى ثابت في المحيط الخارجي، فلكل كلمة مدلول موجود في حياتنا تصير إليه هذه الكلمة أو تعينه، وبها تتم عملية التواصل اللغوي بين الناس في حدودها وإمكاناتها >> [1] هذا المعنى المركزي إنما مظانه القواميس أو المعاجم، لكن القارئ يصادف الكلمة في تركيب، حيث ترتبط بغيرها من الكلمات مما قد يكسبها دلالات جديدة، لكن من غير أن يقطع علاقتها بالمعنى المركزي أو الأصلي، ف << نحن عندما نعود بالمفردة في المعجم إنما نعود بها إلى مرجعها في الرؤية الأولى له (تقريبا)، وهي عندما تنتقل إلى النص، إنما تكون قد انتقلت بموجب رؤية أخرى لها جذورها في الرؤى السابقة >> [2] وفي آيات المتشابه اللفظي في القصص القرآني موضوع الدراسة يجد القارئ أن القرآن قد استبدل كلمة بأخرى هنا، وزاد أو حذف كلمة أو أكثر هناك، كما تمت الإشارة إليه في مبحث أنواع المتشابه اللفظي، ولا شك أنه كلما زادت أوجه التشابه بين الموضعين في المواضيع المختلفة، كلما زادت الرغبة في معرفة سبب هذا التغيير في التعبير، وقبل إصدار أي حكم مسبق يحسن الوقوف عند بعض الشواهد التي تبدو أكثر إثارة للتساؤل، خاصة تلك التي يتبادر إلى الذهن أنها مما لا يمكن تكرره كأن تكون حدثا أو موقفا في قصة واحدة تخص نبيا من الأنبياء، لكن عبر عنه مع شيء من التغيير في الموضعين اللذين وردا فيهما.

أ/: إبدال كلمة بأخرى " انفجرت " بـ " انبجست:

وردت هاتان اللفظتان في قصة سيدنا موسى – عليه السلام – في سورتي البقرة والأعراف، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠ ﴾ [البقرة: ٦٠] وقال كذلك: ﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ

---

[1] المرجع السابق: ص 177.

[2] سعد كموني :العقل العربي في القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 29.

قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٠]

وقد اختلفت آراء المفسرين في بيان هذا التنويع في الاستعمال في الموضعين، فمن المفسرين من يرى أن اللفظين مترادفان، قال أبو حيان: << وجاء هنا " انفجرت " وفي الأعراف "انبجست" فقيل هما سواء، انفجر وانبجس وانشق مترادفات... وظاهر القرآن استعمالهما بمعنى واحد لأن الآيتين قصة واحدة >> [1] وإلى مثل هذا ذهب الألوسي في تفسيره [2] هذا، وقد حكى كل منهما الآراء التي تجعلهما متباينين، حيث قال أبو حيان: << وقيل بينهما فرق، وهو أن الانبجاس هو أول خروج الماء، والانفجار اتساعه وكثرته، وقيل الانبجاس خروج من الصلب والانفجار خروج من اللين، وقيل الانبجاس هو الرشح والانفجار هو السيلان >> [3] ولم يضف الألوسي فرقا جديدا إلى هذه الفروق. ولعل سبب القول بالترادف هو التعليل الوارد عند أبي حيان في كون القصة واحدة، أو أن الحدث واحد، إلا أن هذا لا يجيب عن الاستشكال الذي يرد على الذهن، وهو إن كان المعنى واحدا للفظين، فما دواعي المخالفة في التعبير بين موضع وآخر ما دام الحادث أو الموقف واحدا، خاصة وأن القرآن الكريم دقيق في استعماله لمفرداته يقول الخطابي: << ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه، إما تبدل المعنى الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب... والأمر فيها وفي ترتيبها عند أهل اللغة بخلاف ذلك، لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان

---

(1) أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط، ت عبد الرزاق المهيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1،2002، ج1، ص 334.

(2) الألوسي: روح المعاني، ت محمد أحمد الأمد – عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1،1999، ج1، ص 367.

(3) أبو حيان: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

في بعضها >> [1] كما أنه لا يقنع أصحاب القول بالفرق بين اللفظتين في المعنى، حيث يدفعهم ذلك إلى البحث عن سبب المغايرة، ولعل الإمام الرازي هو من أهم من ذهب إلى القول بعدم اتحادهما في المعنى، والقول بالفرق والاختلاف، قال في تفسيره: << أنه تعالى ذكر ههنا " فانفجرت " وفي الأعراف " فانبجست " وبينهما تناقض، لأن الانفجار خروج الماء بكثرة والانبجاس خروجه قليلا. الجواب من ثلاثة أوجه؛ أحدها: الفجر الشق في الأصل، والانفجار الانشقاق، ومنه الفاجر لأنه يشق عصا المسلمين بخروجه إلى الفسق، والانبجاس اسم للشق الضيق القليل، فهما مختلفان اختلاف العام والخاص، فلا يتناقضان، وثانيها: لعله انبجس أولا، ثم انفجر ثانيا، وكذا العيون يظهر الماء منها قليلا، ثم يكثر لدوام خروجه. وثالثها: لا يمتنع أن حاجتهم كانت تشتد إلى الماء فينفجر، أي يخرج الماء كثيرا، ثم كانت تقل فكان الماء ينبجس أي يخرج قليلا >> [2] وإلى الرأي الثاني ذهب بعض المعاصرين، حيث قال: << فدل التكامل بين عبارتي " فانبجست منه " و" فانفجرت منه " على أنه حصل انشقاق في الحجر أولا، فسال الماء انبجاسا عاديا من العيون الاثنتي عشرة، وعقب هذا صار الماء يتفجر بتدفق وصار يشق أنهرا على مقادير المياه التي تتدفق من العيون التي أخرجها الله – عز وجل – من الحجر آية من الآيات التي آتاها الله موسى عليه السلام >> [3] أما الرأي الأول الذي يجعل هذا الاختلاف مجرد اختلاف بين العام الذي يدل عليه لفظ الانفجار (الانشقاق) وبين الخاص الذي يدل عليه لفظ الانبجاس (الشق الضيق القليل) فإنه لا يزيل الالتباس ولا يفسر دواعي المخالفة بين اللفظين في الموضعين، واختيار ما يدل على العام في هذا الموضع، وما يدل على الخاص في الموضع الآخر، كما أن الرأي الأخير (الثالث) يبقى مجرد احتمال لا يوجد في سياق الآيتين ما يدعمه، إذ ليس هناك ما يشير إلى أن حاجتهم كانت تزداد تارة وتقل أخرى، كما أنه يتناقض نوعا ما مع الرأي الثاني، حيث إنه – هنا – بدأ بالحديث عن الانفجار الذي صاحب ازدياد حاجتهم إلى الماء، ثم أعقبه بالحديث عن الانبجاس الذي صاحب قلة

---

(1) أبو سليمان الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت محمد أحمد خلف الله – محمد زغلزل سلام، دار المعارف، مصر، ط4، 1991، ص 29.

(2) الرازي: مفاتيح الغيب، دار الفكر ، بيروت، ط5، 2005، مج1، ج3، ص 94.

(3) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، ط2000،1،ج4، ص 641.

حاجتهم إليه، وهذا بخلاف الرأي الثاني الذي يقول بابتداء الماء بالانبجاس أولا فيظهر قليلا ثم ينفجر، أي يكثر لدوام خروجه، فهنا كثرة تعقبها قلة، وهناك قلة تعقبها كثرة، والظاهر أنه لا يمكن الأخذ بالرأيين معا.

وبالتأمل في هذه الآراء يتبين أن أصحابها إنما ركزوا على اللفظين من دون الالتفات إلى السياق الذي وردا فيه، أي ما جاء قبلهما وبعدهما من عبارات، لذلك بقي الالتباس يرد على الذهن، ولم يجد فيهما ما يطمئن إليه، ولعل من خير من حاول تفسير هذه المغايرة بين اللفظين باللجوء إلى أول الآية في الموضعين، و رصد الاختلاف بين سياقيهما هو ابن الزبير الغرناطي، حيث يقول: << ... أن الفعلين وإن اجتمعا في المعنى، فليسا على حد سواء، بل الانبجاس ابتداء الانفجار، والانفجار بعده غاية له... وإذا تقرر هذا فأقول إن الواقع في الأعراف طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام للسقيا، قال تعالى: " وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه " والوارد في البقرة طلب موسى عليه السلام من ربه، قال تعالى: " وإذ استسقى موسى لقومه " فطلبهم ابتداء فناسبه الابتداء [أي الانبجاس] وطلب موسى عليه السلام غاية لطلبهم لأنه واقع بعده ومرتب عليه، فناسب الابتداء الابتداء والغاية الغاية >> [1] وإلى مثل هذا ذهب بعض المعاصرين مع زيادة في الشرح والتفصيل معتمدا على السياق نفسه الذي التفت إليه ابن الزبير، وهو التركيز على فعل الاستسقاء، حيث قال: << ... لأن قوم موسى طلبوا السقيا من موسى، فطلب لهم السقيا من ربه، فهل هذا تكرار؟ لا، لأنه سبحانه تكلم عن الواسطة، وبعد ذلك تكلم عن الأصل، وهو سبحانه الواهب للماء، فقال هنا " إذ استسقاه قومه " وفي سورة البقرة " وإذ استسقى موسى لقومه " وهذا ترتيب طبيعي... لنعرف الفارق بين العبارتين حتى نؤكد على أنه لا خلاف بين العبارتين ولا تكرار، لأن المستقي هنا القوم، والمستسقي لهم هنا موسى، والمستسقى منه هو الله جلت قدرته، وهذا أمر طبيعي >> [2] ولا شك أن اللجوء إلى السياق الذي ورد فيه اللفظان قد كشف شيئا عن سر الاختيار في كل موضع، ومناسبة كل لفظ لموقعه الذي ورد فيه، بل هناك من المفسرين من لم يقف عند الاختلاف الذي وقع في فعل الاستسقاء، بل تعداه إلى تتبع باقي الاختلافات ومدى

---

(1) ملاك التأويل: ج1، ص ص 212، 213.

(2) محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، ج7، ص 4397.

مناسبة كل منها لسياقه، من ذلك مخاطبة الله – عز وجل – لسيدنا موسى قي آية البقرة بقوله " فقلنا اضرب بعصاك الحجر " بالإيحاء إليه في آية الأعراف " وأوحينا إلى موسى " قال الإمام السيوطي : << ...ومن ناحية ثالثة: إن الله قال لموسى: اضرب بعصاك الحجر ولم يوح إليه وحيا، فناسب ذلك انفجار الماء الكثير، بخلاف ما ورد في سورة الأعراف فجاء بالانبجاس. >> [1] وعلى الرغم من كل ما ذكر، فإن السؤال الذي لم يجب عليه هو إنه إذا كان الحدث وهو ضرب الحجر وخروج الماء منه واحدا كما يُفهم من كلام أبي حيان الذي تمت الإشارة إليه، أو من كلام الإمام الشعراوي، حيث يقول: << فكان موسى عليه السلام أول ما يضرب الضربة تأتي وتجيء المياه قليلة، ثم تنفجر بعد ذلك، إذن فقد تكلم الحق عن المراحل التي أعقبت الضربة في لقطات متعددة لمظهر واحد، له أولية وله آخرية >> [2] فلماذا اختلف سياق التعبير مع كل لفظة، مع أن لكل اختلاف خصوصية تميزه عن غيره من حيث المعنى؟ إن اعتبار الحدث الذي وقع حدثا واحدا هو الذي أثار كل هذا الالتباس، سواء عند من رأى بأن الفعلين " انبجس " و " انفجر " مترادفان أو مختلفان، فإن ما ذكر لا يجيب عن كل الاستفسارات، إلا أنه يمكن الوقوف عند عبارة للألوسي قد تكون مدخلا لرأي آخر لم تتم الإشارة إليه من قِبل من استشهد بأقوالهم من قبل، فبعدما قرر استعمال الانبجاس والانفجار بمعنى واحد، قال : << والظاهر استعمالهما بمعنى واحد، وعلى فرض المغايرة، لا تعارض لاختلاف الأحوال >> [3] وقوله " لاختلاف الأحوال " فيه إبهام، فهل المقصود اختلاف حال خروج الماء بأن يخرج قليلا ثم يكثر أو العكس، أم أن المقصود أن حالة الانبجاس هي حدث قائم بذاته، وحالة الانفجار هي حدث آخر وقع لما احتاجوا إلى الماء مرة أخرى؟ والاحتمال الأول هو نفسه الرأي الذي تم عرضه من قبل، أما الاحتمال الثاني فهو الذي كان يحتاج إلى مزيد بيان وتوضيح، إذ أنه – مبدئيا – إذا ثبت تعدد الحدث، فإن توهم التكرار يزول، وتبقى عملية البحث عن مناسبة كل لفظ للسياق الذي ورد فيه تعبيرا عن هذا الحدث أو ذاك، إلا أن إثبات التعدد في الحدث يجب أن ينطلق من الآيات نفسها، كما كان الأمر عند من

---

[1] السيوطي: معترك الأقران، ج1، ص ص87-88، نقلا عن التعبير القرآني لفاضل صالح السامرائي، ص 322.

[2] تفسير الشعراوي: ج 7، ص 4398.

[3] الألوسي: روح المعاني،ج1، ص 367.

فُهم من تفسيرهم أن الآيتين تعبران عن حدث واحد. فهل من فهم في الموضعين يمكن الاستدلال به على أن كل آية خاصة بحدث معين، وعليه اقتضى ذلك أن يأتي لفظ " انبجس " في مكانه الخاص، بحيث لا يمكن أن ينوب عنه اللفظ الآخر، بما يكشف عن دقة القرآن في استعماله لألفاظه؟

إنه بالرجوع إلى آية الأعراف التي ورد فيها الفعل " انبجست " كان فعل الاستسقاء صادرا من القوم إلى سيدنا موسى – عليه السلام – ، كما ذكر ذلك بعض المفسرين، وكان الأجدر بهم أن يتوجهوا إلى الله – عز وجل – خالقهم لا إلى المخلوق، لأنه متلبس بلبوس العجز والافتقار، كما أنه لا واسطة بين الخالق والمخلوق، ولكن على الرغم من ذلك استجاب الله عز وجل، وأوحى إلى سيدنا موسى أن يضرب بعصاه الحجر، وهذا الفعل من بني إسرائيل – وهو توجههم إلى سيدنا موسى بالطلب راجع إلى طبيعتهم التي لا تؤمن إلا بما هو مرئي ومحسوس، ولم ترتق إلى أن تؤمن بما هو غيب لا تدركه حاسة البصر، وقد حكى عنهم القرآن الكريم في بعض المواضع ما يؤيد هذا الكلام، كقوله تعالى على لسانهم: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾ النساء: ١٥٣ أو قوله: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٨ يقول محمد الغزالي معلقا على آية النساء: << وهذه ليست مقترحات عقل يبحث عن الحقيقة ويسعى إلى اليقين ! هذه مقترحات طبع غليظ وقلب متكبر... واليهود من أغلظ الناس طباعا وأقساهم قلوبا >> [1] فهم بحاجة إلى تربية وتعليم حتى يعرفوا بحق معنى الإيمان بالله – عز وجل – فكانت استجابة الله لطلبهم من موسى عليه السلام رفقا ورحمة، لأنه لو لم يستجب لطلبهم لربما كفروا بسيدنا موسى، إلا أن هذه الاستجابة كانت متناسبة مع خطئهم الذي ارتكبوه وهو توجههم إلى المخلوق بالطلب دون الخالق، فكان أن خرج الماء قليلا، فاستعمل هنا الفعل " فانبجست "، وكان لا بد أن يعرفوا أن الله بيده كل شيء وأن إليه المفزع عند الحاجة، وأن يصل هذا الإيمان إلى قلوبهم بالتدريج، فكان أن توجه سيدنا موسى – عليه السلام – إلى الله بطلب السقيا لما

[1] محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن ، منشورات بغدادي، الرويبة، الجزائر، ط2000، ص 68.

رأى حاجتهم إلى الماء، تعليما لهم أصول الدين والعقيدة، فلما تغير المقام تغيرت الاستجابة، فبدل الإيحاء إليه بضرب الحجر، جاء قوله تعالى " فقلنا اضرب " لمزيد من التشريف والتكريم، ثم تبعه كرم في العطاء بتفجير العيون، وخروج الماء بغزارة، فشتان بين الطلب من المخلوق وبين الطلب من الخالق الذي بيده كل شيء، إن هذا السياق أو المقام لا تصلح معه لفظة " انبجست " ولا يمكن أن يكون هذا حدثا واحدا، عُبر عنه بسياقين مختلفين، فلكل حدث استسقاء خاص به، وضرب للحجر بالعصا خاص به كذلك. ولعل ما يؤيد هذا الفهم، أي أن الآيتين المتشابهتين تتحدثان عن حدثين مختلفين، النظر إلى السياق الذي جاء بعد كل آية، فآية البقرة جاء بعدها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴿٦١﴾﴾ البقرة: ٦١ ما يوحي بأنهم قد قضوا فترة من الزمن وهم يأكلون المنّ والسلوى، ثم بعد ذلك اعتراهم ملل من أكله فلجؤوا إلى طلب التغيير، أما آية الأعراف فجاء فيها ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ الأعراف: ١٦٠ فالسياق يوحي بأول عهدهم بأكل المنّ والسلوى، ولا شك أن مللهم من أكله سيستغرق فترة من الزمن حتى يحكي القرآن عنهم قولهم " لن نصبر على طعام واحد ".

ومن خلال هذا العرض يمكن القول: إن القرآن الكريم استعمل كل لفظ في معناه الخاص به الذي لا يمكن أن يؤديه عنه لفظ آخر، وقد كان لهذه الدلالة المعجمية أثر في الدلالة على تعدد في الحدث، وأن كل لفظة مرتبطة بحدثها الخاص، وكيف أن إبدال لفظة بأخرى صاحبه تغير في السياق اللغوي السابق واللاحق، بحيث يناسب كل سياق اللفظة التي وردت فيه.

ب/ زيادة الحرف (همزة الاستفهام و حرف الجواب "إذًا"):

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ الأعراف: ١١٣ - ١١٤

وقال:﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الشعراء: ٤١ ــ ٤٢

ومما يلاحظ هنا، زيادة حرف الاستفهام في كلام السحرة "أئن لنا لأجرا" وزيادة حرف الجواب "إذاً" في كلام فرعون في آية الشعراء دون آية الأعراف. وقد وقف الإمام الكرماني عند هاتين

الآيتين محاولا تفسير أوجه الاختلاف، فقال: << " وجاء السحرة فرعون " وفي الشعراء "فلما جاء السحرة قالوا لفرعون" لأن القياس في هذه السورة [أي الأعراف] فلما جاء السحرة قالوا أو فقالوا لا بد من ذلك، لكن أضمر فيه "فلما" فحسن حذف الفاء، وخص هذه السورة بإضمار " فلما " لأن ما في هذه السورة وقع على الاختصار والاقتصار على ما سبق، وأما تقديم فرعون وتأخيره في الشعراء فلأن التقدير فيهما: فلما جاء السحرة فرعون قالوا لفرعون، فأظهر الأول في هذه لأنها الأولى، وأظهر الثاني في الشعراء لأنها الثانية >> [1] أما عن زيادة "إذاً" فقال: << لأن "إذا" في هذه السورة مضمرة مقدرة، لأن"إذا" جزاء، ومعناه: إن غلبتم قرّبتكم ورفعت منزلتكم، وخص هذه السورة بالإضمار اختصارا >> [2] وقد نقل هذا الكلام بحذافيره الإمام الفيروزابادي (ت 817هـ) في كتابه "بصائر ذوي التمييز" [3] والذي يفهم من هذا الكلام أن الكرماني ينظر إلى الآيتين وكأنهما آية واحدة، لكن تمّ إضمار بعض منها أو تقديم بعض آخر في موضع، وإظهاره أو تأخيره في الموضع الآخر، وفي موضع الإضمار وجب تقدير المضمر حتى تُقرأ الآية على الأصل، كما في قوله " لأن القياس في هذه السورة [الأعراف] فلما جاء السحرة فرعون قالوا أو فقالوا لا بد من ذلك " لذلك كانت إذاً عنده كذلك مضمرة مقدرة في آية الأعراف. وتفسير هذا الإضمار راجع إلى ورود قصة سيدنا موسى عليه السلام موجزة في سورة الأعراف كما ذُكر، وورودها مفصلة فيها استيفاء وإطناب في سورة الشعراء، قال ابن الزبير الغرناطي تعليلا لذكر "إذاً" في آية الشعراء: << ثم ورد في سورة الشعراء مفصحا بالأداة المحرزة له [أي الجزاء] وهي "إذاً" ليناسب بزيادتها ما مضت عليه – أي هذه السورة – من الاستيفاء والإطناب كما تقدم، وناسب سقوطها في الأعراف مقصود الإيجاز في هذه القصة وقد مر هذا >> [4] ولم يقف كل من الكرماني وابن الزبير عند حذف همزة الاستفهام على الرغم من أن ذلك يؤثر على طبيعة الجملة، فحذفها قد ينقل الجملة من الإنشاء إلى الخبر، قال محمد الطاهر بن عاشور: << وقرأ نافع وابن كثير وحفص وأبو جعفر "إن لنا لأجرا" ابتداء بحرف

---

(1) الكرماني: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص 81.

(2) المصدر نفسه: ص 82.

(3) الفيروزابادي: بصائر ذوي التمييز، المكتبة العلمية، بيروت، ت محمد علي النجار، دت، ج1، ص ص 217-218.

(4) ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ج1، ص 568.

"إن" وعلى القراءتين فالمعنى على الاستفهام كما هو ظاهر الجواب بـ "نعم" وهمزة الاستفهام محذوفة تخفيفا على القراءة الأولى، ويجوز أن يكون المعنى عليها أيضا على الخبرية لأنهم وثقوا بحصول الأجر لهم، حتى صيّروه في حيز المخبر به عن فرعون، ويكون جواب فرعون بـ "نعم" تقريرا لما أخبروا به عنه >> [1] لم يبين الإمام ابن عاشور سبب حذف همزة الاستفهام في موضع الأعراف دون موضع الشعراء، كما لم يبين كذلك – لما كان المعنى على الخبرية – لماذا اختار التعبير بالخبر هنا، واختار التعبير بالإنشاء هناك، ولعل في كلام الإمام الشعراوي زيادة بيان وتوضيح لهذه المسألة، حيث يقول عند تعرضه لتفسير آية الشعراء: << لقد جاء بها بهمزة الاستفهام، وفي سورة الأعراف جاء بها من غير همزة الاستفهام وهذه آية قرآنية، وتلك آية قرآنية، وأصحاب القول يتناسون أن كل ساحر من سحرة فرعون قد انفعل انفعالا أدى به مطلوبه، فالذي يستفهم من فرعون قال "أئن" والشجاع قال لفرعون "إن لنا لأجرا" وفي القضية الاستفهامية لا يتحتم الأجر لأنه من الجائز أن يرد الفرعون قائلا: أن لا أجر لكم، ولكن في القضية الخبرية "إن لنا لأجرا" أي أن بعض السحرة قد حكموا بضرورة وجود الأجر، وقد غطى القرآن هذا الاستفهام وهذا الخبر >> [2].

ومع كل هذه الآراء تبقى الأسئلة ترد على الذهن، وتحتاج إلى أجوبة يطمأن إليها، إذ أن التعليل بالإيجاز والتفصيل يبدو غير مقنع، فهل حذف همزة الاستفهام من كلام السحرة يجعل من كلامهم موجزا، وذكرها يجعله مفصلا مسهبا؟ وهل حذف "إذاً" من كلام فرعون يجعله موجزا، وذكرها يجعله مطنبا؟ وبالتالي يناسب هذا الإيجازُ الإيجازَ الوارد في القصة في الأعراف، والإطنابُ الإطنابَ الوارد في القصة في سورة الشعراء، وما تأثير كل من الحذف والذكر على مستوى الحدث في الموضعين؟ الظاهر أنه لن يتغير شيء على هذا المستوى، سواء أذكرت همزة الاستفهام أم لم تذكر، أو ذكر حرف الجواب "إذا" أو لم يذكر، فموضع الإيجاز يبقى على إيجازه، وموضع الإطناب يبقى على إطنابه، خاصة وأن المفهوم من الآراء السابقة أن الحادثة واحدة، فاضطر بعضهم إلى تقدير المضمر أو المحذوف في الموضعين بالمذكور فيهما كما ذُكر في كلام الكرماني، أما محمد الطاهر بن عاشور

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، ج9، ص ص 45-46.

[2] تفسير الشعراوي: ج7، ص 4291.

فقد صرح بهذا المفهوم في قوله: << وكان حضور السحرة عند فرعون في اليوم الذي عينه موسى للقاء السحرة >> [1]

إن علماء المتشابه اللفظي كثيرا ما يشيرون في تعليلاتهم إلى أن القرآن في حال الذكر أو الحذف أو الزيادة والنقصان، لا يستعمل إلا ما يناسب موضعه، بحيث لا يمكن استعماله في المواضع الأخرى من دون أن يحدث أي خلل في المعنى. لكن الآراء السابقة لا تدلّ على هذا، ولم تبين – مثلا – هل يمكن حكاية قول السحرة وفرعون في آية الشعراء من دون همزة الاستفهام وحرف الجواب "إذا " لتتطابق مع آية الأعراف أو العكس؟ كما أنه من عادتهم الرجوع إلى سياق الآيات السابقة أو اللاحقة لتوجيه المتشابه، لكنهم في هذين الموضعين لم يفعلوا ذلك، واكتفوا بالمقارنة بين الموضعين لم يتعدوهما، إلا ما كانت الإشارة إليه بشأن ورود القصة بصفة عامة في السورتين من حيث الإجمال والتفصيل، أو الإيجاز والإسهاب، ولعله بالرجوع إلى سياق الآيتين في كل موضع يمكن أن تنكشف بعض المعاني التي تفسر أكثر السر في هذا الاختلاف اليسير في حكاية قول السحرة وفرعون.

جاء في سورة الشعراء قبل الآية موضوع البحث قوله تعالى: ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ الشعراء: ٣٨ قبل أن يلتقوا بسيدنا موسى عليه السلام في يوم التحدي، ولا يستبعد أن يكون فرعون قد التقى بالسحرة أولا حتى يكون الاستعداد لذلك اليوم، وربما يؤيد هذا ما جاء في سورة طه في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾ طه: ٦٠ يقول فيها عبد الكريم الخطيب: << في هذه الكلمات القليلة المعجزة، قصة طويلة تضم أحداثا كثيرة مما كان من فرعون في جمع السحرة وحشدهم، وتخيرهم واختيار وسائلهم، وتخير المناسب القوي منها، كل هذا جمعته كلمة واحدة هي "كيده" فالكيد هنا هو السحرة والسحر وأدوات السحر >> [2] لذلك خالفت الآية في عطف الفعل " أتى " بـ "ثم" التي تفيد الترتيب والتراخي بدل "الفاء" التي تفيد الترتيب والتعقيب كما هو الحال بين الفعلين " تولى " و " جمع "، قال ابن عاشور في ذلك: <<ثم "أتى" ثم حضر الموعد، وثم للمهلة الحقيقية والرتبية معا، لأن حضوره للموعد كان بعد مضي مهلة الاستعداد، لأن ذلك الحضور بعد جمع كيده أهم من جمع الكيد، لأن فيه ظهور أثر ما

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور:المرجع السابق: ج 9، ص 45.

[2] عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ج8، ص 803.

أعده >> [1] أما آية الأعراف فإن السياق قبلها مختلف، فقد جاءت عقب الأمر بإرسال الحاشرين قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ١١٢ ﴾ [الأعراف: ١١١ – ١١٢] وعليه، يمكن أن يفهم من قوله تعالى " وجاء السحرة فرعون" بأنه اللقاء الأول للسحرة مع فرعون قبل يوم التحدي ولقاء موسى عليه السلام أمام فرعون وغيره من الحاضرين، ولعل ما يؤيد هذا الفهم ذكر مفعول الفعل "جاء" في هذه الآية وهو "فرعون" مما يخصصه به، وحذفه من آية الشعراء في قوله تعالى " فلما جاء السحرة" ولا يمكن تقدير "فرعون" هنا لأن مجيء السحرة في ذلك اليوم لم يكن من أجل فرعون فقط، بل كان كذلك من أجل مواجهة سيدنا موسى عليه السلام أمام جمهور الناس، ولعل هذا هو سر حذف المفعول به في هذه الآية، وحتى لا يختص المجيء بأحد، ويبقى عاما يشمل كل الحاضرين.

إذن، يمكن القول بأن كل آية تتحدث عن موقف أو حدث مختلف عن الآخر، فآية الأعراف تتحدث عن لقاء السحرة بفرعون بعيدا عن سيدنا موسى عليه السلام وعن الناس، وآية الشعراء تتحدث عن يوم المباراة والتحدي، حيث يجتمع الجميع. يبقى إذن البحث في هذا الاختلاف بين الموضعين في كلام السحرة وفرعون ومناسبة كل لموضعه.

ففي موضع الأعراف قال السحرة " إن لنا لأجرا" بالجملة الخبرية لأنهم ربما وثقوا بحصول الأجر لهم كما جاء في كلام الإمام ابن عاشور من قبل، أو أن بعض السحرة قد حكموا بضرورة وجود الأجر، كما تمت الإشارة إليه في كلام الإمام الشعراوي، وربما وجودهم مع فرعون بعيدا عن الأنظار، وإحساسهم بحاجته الملحة إليهم في هذه المسألة الخطيرة – ولا شك في أن هذا ضعف من فرعون – أعطاهم شيئا من الجرأة لتأكيد طلب الأجر، فما كان من فرعون إلا أن أعطاهم الموافقة بتأكيد مطابق لتأكيدهم، حيث استعمل مؤكدَين هما "إن" و "اللام" كما استعملهما السحرة في طلبهم، ولا يتأثر هذا الفهم على القراءة الثانية التي ورد فيها "همزة الاستفهام" فإن ما ذكره الإمام الشعراوي من قبل محتمل، بحيث كان السحرة منقسمين إلى قسمين في طريقة تقديمهم طلبهم. أما آية الشعراء فقد قال السحرة "أئن لنا لأجرا" بالجملة الإنشائية، ولم ترد هذه الآية إلا بهذه القراءة،

[1] ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج 16، ص 248.

ولعل ذلك هو الأنسب لهذا الموقف، ففي تقديمهم طلبهم أمام الحضور بصيغة الاستفهام فيه من الأدب والاحترام لفرعون ما فيه، قال الإمام البقاعي عن هذه الآية: << "أئن لنا لأجرا" وساقوه مساق الاستفهام أدبا معه >> [1] وربما لو قدم الطلب بالجملة الخبرية لبدا أمام الناس وكأنهم يجبرونه على تقديم الأجر لهم، ولا شك أن ذلك سينقص من مكانة فرعون وهيبته أمام رعيته وهو الذي يحكي عنه القرآن قوله ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴿٣٨﴾ ﴾ [القصص: ٣٨] فالأدب يقتضي التوسل والطلب، والأمر يرجع إليه بالقبول أو الرفض، فالعبد مع إلهه واجبه طاعة سيده وخدمته من دون مقابل، لكن فرعون رد هذه المرة بالمبالغة في التأكيد، فأضاف كلمة "إذاً" لأن الموقف يقتضي ذلك، فلا شك أن نفسيته في ذلك الموقف مضطربة إذا ما قيست بالموقف الأول الذي جمعه بالسحرة بعيدا عن الناس وعن أي ضغط، فالموقف هنا فيه ترقب ويمكن أن يكون النصر ويمكن أن تكون الهزيمة، وفيه تهديد لمكانته وألوهيته، فظهر ضعفه البشري في كلامه فبالغ في التأكيد ليبذل السحرة كل جهدهم، وليحفظ ملكه من أن ينهار.

من خلال ما تمّ شرحه تبيّن أن زيادة همزة الاستفهام وحرف الجواب " إذاً " كان له أثر على اختلاف المعنى، بحيث دلاّ على تعدد المقول واختلاف المقام الذي قيل فيه، فكانت هذه الجملة قيلت لما كان السحرة مع فرعون بعيدا عن أعين الناس، أما تلك ، فقيلت يوم المباراة يوم اجتماع السحرة بموسى عليه السلام أمام فرعون وأمام غيره من الحاضرين، فناسبت كل جملة الحدث الذي قيلت فيه.

---

[1] برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ت ع/الرزاق غالب المهدي،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ج5، 359.

ثانيا / الدلالة النحوية:

إن الكلمة لا تأتي في النصوص اللغوية منفصلة عن غيرها، بل تدخل في علاقة مع غيرها من الكلمات مشكلة تركيبا لغويا اصطلح على تسميته بالجملة، ثم إنها قد تتخذ مواقع مختلفة في هذا التركيب مما يؤثر في تغيير وظيفتها الدلالية، وقد عني علم النحو بدراسة هذا الجانب، حيث إن أهميته تظهر << ببحث العلاقات التي تربط بين الكلمات في الجملة الواحدة وبيان وظائفها، إذ إنه وسيلة نحو التفسير النهائي لتعقيدات التركيب اللغوي، والدلالة هي التي تبرز الاختلاف بين التراكيب المختلفة، فالنحو والدلالة يتعاونان معا على توضيح النص وتفسيره >> [1] والوظيفة النحوية للكلمة تُسهم في بيانها أو تفسيرها قرائن نحوية عديدة حاول بعض المعاصرين رصدها، فتعددت تقسيماتهم، كما فعل صاحب كتاب " المعنى وظلال المعنى "فجعل منها قرائن لفظية أوصلها إلى إحدى عشرة قرينة كالعلامة الإعرابية والرتبة والمطابقة، وأخرى معنوية كالتبعية والإسناد وغيرهما. وقد حاول باحث آخر أن يختصرها في خمس قرائن؛ وهي قرينة أقسام الكلام والتعريف والتنكير وقرينة التذكير والتأنيث وقرينة الإفراد والتثنية والجمع وقرينة الإثبات والنفي [2]، وهي كلها تقسيمات جيء بها من أجل مزيد من التوضيح والتسهيل، وقد تختلف فيما بينها من حيث تسمية المصطلح، لكن المسمى واحد، فقرينة التنكير والتعريف في التقسيم الثاني مثلا، تتقاطع مع قرينة المطابقة في التقسيم الأول، وإذ لا مشاحة في الاصطلاح، فإنه سيتم توظيف المصطلح الذي يكون أسهل في عملية الشرح والتفسير.

هذا، وإن البحث يسعى إلى اختيار بعض النماذج من آيات المتشابه اللفظي في القصص القرآني للبحث عن أثر تغير بعض الوظائف النحوية للكلمات في المعنى أو في سياق القصة أو الحدث الذي وردت فيه، خاصة تلك التي وقف عندها العلماء وقفة نحوية، لا أن يرصد كل الظواهر

---

(1) محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005، ص 123.

(2) ينظر محمد محمد يونس علي:المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007،: ص 319-320. وكريم حسين ناصح الخالدي:نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006، ص ص 178-206.

أو القرائن النحوية، لذلك سيتم الاقتصار على قرينتين؛ وهما قرينة التعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث.

أ/ التعريف والتنكير: " بلدا " " البلد "

قال تعالى في قصة سيدنا إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٦]

وقال في موطن آخر: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ففي آية البقرة وردت لفظة " بلدا " نكرة بينما جاءت في سورة إبراهيم "البلد" معرفة بالألف واللام، وهي من المواطن التي وقف عندها علماء المتشابه اللفظي والمفسرون وقفة نحوية واضحة، قال الخطيب الإسكافي موجها هذا الاختلاف: << إن الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلدا، فكأنه قال: رب اجعل هذا الوادي بلدا آمنا، لأن الله تعالى حكى عنه أنه قال " ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم " بعد قوله "اجعل هذا بلدا آمنا" ووجه الكلام فيه تنكير "بلد" الذي هو مفعول ثان و"هذا" مفعول أول. والدعوة الثانية وقعت وقد جعل الوادي بلدا، فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذي صيرته كما أردت ومصرته كما سألتُ ذا أمنٍ على من أوى إليه ولاذ به. فيكون " البلد " على هذا عطف بيان على مذهب سيبويه وصفة على مذهب أبي العباس. و"آمنا" مفعولا ثانيا. فعرّف حيث عُرِف بالبلدية، ونكّر حيث كان مكانا من الأمكنة غير مشهور بالتميز عنها بخصوصية من عمارة وسكنى الناس >> [1] وإلى مضمون هذا الرأي ذهب صاحب " نظم الدرر " الإمام البقاعي، لكن من دون أن يفصل بمثل هذا التفصيل، حيث قال في تفسيره لآية سورة إبراهيم: <<...وكأن هذا الدعاء صدر منه بعد أن سكن الناس بمكة وصارت مدينة، والذي في البقرة كان حيث وضع ابنه بها مع أمه وهي خالية عن ساكن، فدعا أن يجعلها الله بلدا، وأن يجعلها بعد ذلك موصوفة بالأمن،

[1] درة التنزيل: ج1، ص ص 282،284.

وهو سكون النفس إلى زوال الضر>> [1] والذي يبدو من كل هذا أن الأساس في تفسير أو توجيه الموضعين المتشابهين، هو التركيز على دلالة النكرة التي لا تختص بمكان والمعرفة التي تقصره على مكان معين، إلا أن هذا التنكير والتعريف كان له أثر على الوظيفة النحوية للكلمة، حيث تغير إعرابها كما حدد ذلك الخطيب الإسكافي، ففي آية البقرة كان الإعراب كالتالي:

هذا	بلدا	آمنا
مفعول به 1	مفعول به2	

أما في آية إبراهيم، فأصبح الإعراب

هذا	البلد	آمنا
مفعول به 1	عطف بيان أو صفة	مفعول به 2

إلا أنه توقف عند هذا الوصف للمحل الإعرابي، ولم ينتقل إلى البحث في معنى الجملتين عند حدوث هذا التغير، وهل هناك فرق بينهما في الدلالة، بحيث ينسجم مع الرأي الذي قرره؟

لعل الإمام الألوسي هو الذي وقف عند الفرق الجوهري بين التعبيرين عند تغيّر وظيفة اللفظة النحوية، حيث قال: << ... وتحقيقه أنك إذا قلت: اجعل هذا خاتما حسنا فقد أشرت إلى المادة طالبا أن يسبك منها خاتم حسن، وإذا قلت: اجعل هذا الخاتم حسنا، فقد قصدت الحسن دون الخاتمية، وذلك لأن محط الفائدة هو المفعول الثاني لأنه بمنزلة الخبر، وإلى هذا يرجع ما قيل في الفرق أن في الأول سؤال أمرين البلدية والأمن، وهاهنا سؤال أمر واحد وهو الأمن >> [2] وقد نبه الألوسي في قوله "لأنه بمنزلة الخبر" إلى مسألة نحوية هامة قد تسهم في فهم دلالة الجملتين بطريقة أوضح. إن الفعل "اجعل" هو من أفعال التحويل والتصيير التي تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ والخبر على أنهما مفعولان لها، قال ابن هشام الأنصاري في أوضح المسالك في باب الأفعال الداخلة بعد استيفاء فاعلها على المبتدأ والخبر فتنصبهما مفعولين:<< النوع الثاني: أفعال التصيير، كجعل، وردّ، وترك، واتّخذ، وتَخِذ، وصيّر، ووهب، قال تعالى:"فجعلناه هباء منثورا"[الفرقان/23] و" لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا""[البقرة/109]، "وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض"، "واتّخذ الله

---

[1] البقاعي: نظم الدرر: ج4، ص 190.

[2] الألوسي: روح المعاني، ج7، ص 220.

إبراهيم خليلا""[النساء/125]... >>،[1] وعليه، فالجملتان قبل دخول الفعل عليهما أصلهما: "هذا بلد آمن" و "هذا البلد آمن " فبلد في الجملة الأولى خبر، وآمن نعت له، أما في الجملة الثانية فكلمة البلد عطف بيان لاسم الإشارة، فهي بمنزلة المبتدأ (مسند إليه) أما آمن فخبر (مسند) ولا شك أن محط العناية في الجملتين لتتم الفائدة مختلف،ف "بلد " مخبر به عن المبتدأ، فهو محط العناية والاهتمام، أما " البلد" فهو المخبر عنه بـ "آمن" التي أصبحت هي محط الاهتمام، ولعل هذا ما يفسر قول الألوسي " أن في الأول سؤال الأمرين البلدية والأمن " ذلك أنه كان محط العناية لكونه خبرا في الأصل، أما في الثاني فكان سؤال أمر واحد وهو الأمن، لأن المشار إليه قد أصبح معروفا كونه بلدا، لذلك لم يكن محط العناية والطلب، وعلى هذا الأساس أو التحليل كان فهم الخطيب والألوسي والبقاعي من أن الدعاء دعاءان؛ أحدهما خاص بالمكان قبل أن يصبح بلدا، والآخر بعد أن صار بلدا وعمر بأهله وسكانه.

وهنا يبدو كيف أن تعدد الموقف أدى إلى تغيير في الجملة فتغيرت بذلك وظيفة الكلمات النحوية، وكيف أن الوقوف على هذه الوظائف النحوية أوصل إلى اختصاص كل وظيفة بموقف معين. ولابن الزبير الغرناطي في كتابه ملاك التأويل رأي آخر مخالف يفهم منه ألاّ فرق بين التعبيرين من حيث المعنى، ففي توجيهه لمسألة التعريف والتنكير يقول: << أن اسم الإشارة الذي هو "هذا" في سورة البقرة لم يقصد تبعيته اكتفاء بالواقع قبله من قوله تعالى "وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا" وقوله " وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين" وتعريف البيت حاصل منه تعريف البلد، فورد اسم الإشارة غير مفتقر إلى التابع المبين جنسه كالجاري في أسماء الإشارة اكتفاء بما تقدمه مما يحصل منه مقصود البيان، فانتصب بلدا مفعولا ثانيا وآمنا نعتا له، واسم الإشارة مفعولا أول غير محتاج إلى تابع لقيام ما تقدم مقامه. >> [2] ومعنى هذا الكلام، أن اسم الإشارة الذي طابعه الإبهام، فهو يحتاج إلى تابع (بدل أو عطف بيان أو نعت) يبين حقيقته، لكنه استغني عنه هنا، لأنه اكتسب بيانه أو تعريفه من كلمة "البيت" التي ذكرت في الآية من قبل، ثم يفترض ورود لفظ " بلدا" معرفا بالألف واللام قائلا: << ولو تعرف لفظ بلد بالألف واللام وجرى على اسم

---

[1] ابن هشام الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2008، ص 60.

[2] ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل: ج1، ص 234.

الإشارة لم يكن ليحرز بيانا زائدا على ما تحصل مما تقدم، بل كان يكون كالتكرار، فورد الكلام على ما هو أحرز للإيجاز وأبلغ في المقصود مع حصول ما كانت التبعية تعطيه فجاء على ما يجب.>> [1] وعليه، فإن ابن الزبير يريد أن يثبت أن كلمة "بلدا" التي جاءت نكرة هي في الحقيقة في حكم المعرفة، فلا تحتاج إلى "ال" التعريف،ولو عرفت، أي أُتبعت، لكان ذلك تكرارا لا يضيف شيئا جديدا للمعنى. أما تعليله للموضع الثاني، وهو آية سورة إبراهيم فيقول فيه: << أما آية سورة إبراهيم فلم يتقدم فيها ما يقوم لاسم الإشارة مقام المعرِّف بجنس ما يشار إليه، فلم يكن بد من إجراء البلد عليه تابعا له بالألف واللام على المعهود الجاري في أسماء الإشارة من تعيين جنس المشار إليه باسم جامد في الغالب عطف بيان على قول الخليل أو نعتا على الظاهر من كلام سيبويه، وانتصب اسم الإشارة المتْبَع على أنه مفعول أول، وآمنا على أنه مفعول ثان، ولم يكن عكس الوارد ليحسن ولا ليناسب >>. [2] والظاهر أن التوجيه الأول الذي ذكره غيره من المفسرين هو الأقرب إلى الصواب، لأنه راعى الفرق بين التعبيرين في حال تنكير لفظة البلد وتعريفها، وأثر ذلك على المحل الإعرابي وعلى المعنى، على خلاف ما قام به هو، حيث لم يتعرض إلى فرق ما بينهما من حيث المعنى، فبدا التعبيران وكأنهما بمعنى واحد.

ب/ التذكير والتأنيث:

جاء في سورة هود تذكير الفعل" أخذ " في موضع وتأنيثه في موضع آخر، قال تعالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧ ﴾ [هود: ٦٧] وقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤ ﴾ [هود: ٩٤]

إن هذه المسألة النحوية يدرسها النحويون في باب الفاعل في مسألة جواز وجوب تأنيث العامل، والعامل هنا المقصود به هو " الفعل " وتأنيث العامل معناه اتصال تاء التأنيث به بالنظر إلى

---

[1] المرجع السابق:الصفحة نفسها.

[2] المرجع نفسه: ج1، ص 335.

الكلمة التي جاءت فاعلا، وقد حاول النحاة ضبط أنواع هذه الكلمات، فكان أن قسموا المؤنث إلى حقيقي وغير حقيقي، وفي هذا يقول الزمخشري (ت 538هـ): << والتأنيث على ضربين: حقيقي كتأنيث المرأة والناقة ونحوهما مما بإزائه ذكر في الحيوان، وغير حقيقي كتأنيث الظلمة والنعل ونحوهما مما يتعلق بالوضع والاصطلاح، والحقيقي أقوى، ولذلك امتنع في حال السعة [أي في غير الضرورة]"جاء هند" وجاز "طلع الشمس" وإن كان المختار "طلعت" فإن وقع فصل استجيز نحو قولهم "حضر القاضي امرأة" >> [1] فإن كان المؤنث مجازي التأنيث وفصل بينه وبين فعله – وهي المسألة التي جاءت الآية على وفقها– فيقول فيها ابن عصفور (ت669 هـ): << فإن كان مواتا فلا يخلو أن تفصل أو لا تفصل، فإن لم تفصل جاز الحذف والإثبات فتقول: انكسرت وانكسر القِدرُ، والإثبات أحسن. فإن فصلتَ حسن الحذف مثل قولك انكسرت اليوم القدر، وانكسر اليوم القدر وكلما طال الفصل كان الحذف أجود، والإثبات في هذا كله أجود من الحذف>> [2]

ومن الذين انطلقوا في تعليلهم لهذا الاختلاف في الآيتين من التعليل النحوي ابن الزبير الغرناطي، حيث يقول: << إن التأنيث على ضربين حقيقي وغير حقيقي، فالحقيقي لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالبا إلا أن يقع فصل نحو قام اليوم هند، وكلما كثر الفصل حسن الحذف... أما التأنيث غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل حسن... فإن كثر الفصل ازداد حسنا، ومنه وأخذ الذين ظلموا الصيحة، فالحذف والإثبات هنا جائزان والحذف أحسن، فجاء الفعل في الآية الأولى على الأولى ثم ورد في قصة شعيب وهي الثانية بإثبات علامة التأنيث على الوجه الثاني >> [3] إن هذا التعليل لم يتجاوز تقرير القاعدة النحوية التي تنص على الجواز، وتجعل الحذف مع الفصل حسنا، ومع طول الفصل أحسن، ومسألة التفضيل بين أسلوب وآخر في القرآن مشكلة، فهل يمكن جعل ما هو أحسن مكان ما هو حسن، أي حذف التاء في الآية 94 ليأتي الأسلوب القرآني على

---

[1] الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، ت إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، ص247.

[2] ابن عصفور الإشبيلي:شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2003، ج2، ص 242.

[3] ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ج1، ص ص 660-661.

الأحسن، أم أن المسألة مرتبطة بالمعنى والدلالة كما صورها الخطيب الإسكافي، حيث قال:<< غير أن السؤال الذي بنيت عليه الآيات لازم، وهو أن يقال: فهل كان يجوز مكان " أخذت " " أخذ " في القرآن؟ وهل لتخصيص قصة شعيب بـ "أخذت " فائدة ليست لها في قصة صالح عليه السلام.>> [1] وما يؤكد على طرح هذا السؤال هو التشابه المطلق بين العبارتين إلا في تلك الجزئية؛ فالفعل واحد، والفاعل واحد والفاصل بينهما واحد، وقد قدم الخطيب تفسيرين لهذا الاختلاف، فبدأ بتعليل موضع التذكير الخاص بقصة هود عليه السلام، حيث قال: << والجواب أن يقال: إن مثل هذا إذا جاء في كلام العرب سهل الكلام فيه، لأنه يقال حُمل على المعنى، والصيحة بمعنى الصياح، كما أن قول الشاعر:

يا أيها الراكب المزجي مطيته *** سائل بني سعد ما هذه الصوتُ

حمل على المعنى إذ الصوت بمعنى الصيحة >> [2] وهذا التعليل يسوي بين معنى الصياح والصيحة، والمعروف أن الصياح هو المصدر لـ "صاح" أما الصيحة فهي مصدر المرة منه، وقد فرق النحويون بينهما من حيث الدلالة فـ<< المصدر الأصلي لا يدل بذاته إلا على المعنى المجرد، فلا علاقة له في الغالب بزمان ولا مكان ولا تأنيث ولا تذكير ولا علمية ولا عدد ولا هيئة ولا شيء آخر غير ذلك المعنى المجرد... بخلافه إذا دل على المرة أو الهيئة، فإنه يكون في المرة مقيدا – مع الحدث – بالدلالة على أن هذا الحدث مرة واحدة وفي الهيئة يكون مع الحدث مقيدا بوصف خاص >> [3] أما موضع التأنيث المتعلق بقصة شعيب عليه السلام، فيقول: << إن الله تعالى أخبر عن العذاب الذي أهلك به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة ألفاظ منها الرجفة في الأعراف، ومنها الصيحة في سورة هود ومنها الظُّلة في سورة الشعراء، وفي التفسير أن هذه الثلاث جمعت لإهلاكهم واحدة بعد أخرى، لأن الرجفة بدأت بهم فانزعجوا لها عن الكِنّ [البيت] إلى البراح [المتسع من الأرض لا زرع فيه] فلما أصحروا نال منهم حر الشمس، وظهرت لهم ظلة سكنوا إلى روح ظل تحتها فجاءتهم الصيحة فهمدوا لها، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا به

---

(1) الخطيب الإسكافي: درة التنزيل: ج2، ص 765.

(2) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(3) عباس حسن: النحو الوافي، آوند دانش للطباعة والنشر، طهران، ط1، 2004، ج3، ص 177.

غلب التأنيث في هذا المكان الذي لم تتوال فيه هذه المؤنثات. >> [1] وهذا التعليل بورود تلك الألفاظ المؤنثة في قصة سيدنا شعيب عليه السلام لا ينهض إلى إزالة اللبس أو الإشكال، لأنه استقرأ ما ورد من ألفاظ العذاب في قصة شعيب عليه السلام دون قصة سيدنا صالح عليه السلام، وفي هذا يقول أحد المعاصرين رادا لهذا التعليل: << إن ذكر ثلاثة ألفاظ مؤنثة مع قوم شعيب أوجبت إلحاق التاء بالفعل (أخذ) فلماذا لم تلحق التاء مع الفعل (أخذ) عند الحديث عن قوم صالح على الرغم من أن القوم عذبوا أيضا بألفاظ لا أقول ثلاثة مؤنثة بل أربعة وهي كما يأتي: فقد ذكر في الذاريات ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

وفي الحجر ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ وفي الأعراف: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ وفي الحاقة ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾ فنرى الألفاظ الصاعقة والصيحة والرجفة والطاغية كلها ألفاظ مؤنثة >> [2] وعليه، فإن ما قاله الخطيب الإسكافي في كلامه السابق يمكن أن يقال عن موضع التذكير، فها هي أربعة ألفاظ قد اجتمعت في العبارة عن العذاب الذي أهلك به قوم صالح عليه السلام، فلماذا لم يغلّب التأنيث كما غلّب في قصة سيدنا شعيب عليه السلام؟ الواقع أن ما قام به الإمام الإسكافي في تعليل هذا الموطن من المتشابه اللفظي كان عبارة عن بحث في سياقات أخرى تبدو مشابهة لسياق الآية موضوع الدراسة وردت في سور مختلفة، إضافة إلى عدم مراعاته لسياقات الآية الأخرى المشابهة، ولعله كان من الأجدر قبل أن يتجه إلى السياق البعيد أن يبدأ بالسياق القريب، والمقصود به سياق الآيتين في السورة نفسها ، لما لكل سياق في القرآن من خصوصية تميزه عن السياقات الأخرى التي تبدو مشابهة له، فقد يُمكِّن ذلك من إعطاء تفسير لهذا الاختلاف، فـ << السبب الموجب لتذكير الفعل الأول وتأنيث الفعل الثاني أن الفعل الأول سبقه خمسة من الأسماء المذكرة "إن ربك هو القوي العزيز" فربك اسم مذكر والكاف ضمير مذكر والضمير (هو) مذكر، والقوي مذكر والعزيز مذكر، ومن المعروف أن الجوار يؤثر أو يمكن أن يؤثر،

---

(1) الخطيب الإسكافي: درة التنزيل: ج2، ص ص 765،767.

(2) أحمد محمد إسماعيل: الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني، ص ص 177- 178.

أما ترى أن رسولنا الكريم قال: " ارجعن مأجورات غير مأزورات، فتأثرت مأزورات بـ (مأجورات) مع أن أصلها (موزورات)، لأنها واوية من (وزر) أما الفعل الثاني الذي اتصلت به تاء التأنيث فقد سبقه كلمة مؤنثة هي "رحمة" فساوق التأنيث التأنيث، أرأيت أن كل فعل لا يجوز أن يحل محل الآخر بسبب ما جاوره من تذكير وتأنيث. >> [1] وإلى قريب من هذا التعليل ذهب صاحب كتاب الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني سابق الذكر، حيث راعى السياق السابق للموضعين، ثم التفت إلى السياق اللاحق لموضع التذكير فقال: << ولهذا نرى أن الله تعالى ذكر بهلاك الأمم فعقب بقوله " ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ **[هود: ١٠٢]** لتنسجم اللفظة "أخذ" مع ما قبلها ومع ما بعدها والله أعلم.>> [2] والظاهر أن التعليل الأول الذي راعى السياق السابق له ما يبرره، إذ كشف عن بعض الخصوصية لكل موضع، أما الثاني الذي راعى السياق اللاحق، فلا يكشف عن شيء ذي أهمية، فهو سياق بعيد جدا، جاء بعد ذكر كل قصص الأنبياء الذين تحدثت عنهم سورة "هود" وهم على الترتيب: نوح، عاد، ثمود، إبراهيم، لوط، شعيب، وموسى عليهم السلام، والسؤال الذي يطرح هنا، لماذا كانت هذه الآية مناسبة للآية 67 دون الآية 94 مع أنها جاءت تعقيبا على كل القصص، ولماذا لم تأت مناسبة للآية الثانية، إذ طابع العموم فيها يقتضي طرح هذا السؤال؟ وعليه يتبين أن السياق الذي يخص الآية هو الذي يساعد أكثر في عملية التعليل والتفسير، أما السياق الذي لا يخصها فقد لا يستطيع ذلك. وقد أشار برهان الدين البقاعي إلى معنى آخر في توجيه هاتين الآيتين فقال عن موضع قصة سيدنا صالح عليه السلام: << وأشار إلى عظمة الصيحة بإسقاط علامة التأنيث >> [3] أما عن موضع قصة سيدنا شعيب عليه السلام، فقال:<< " وأخذت الذين ظلموا " أي الذين أوقعوا الظلم ولم يتوبوا "الصيحة" وكأنها كانت دون صيحة ثمود لأنهم كانوا أضعف منهم، فلذلك أبرز علامة التأنيث في هذه دون تلك. >>[4] والظاهر من هذا الكلام أن هناك اختلافا في الدلالة في

---

(1) عودة الله منيع القيسي: الإعجاز اللغوي في قصص نوح ع ، دار عمار، الأردن، ط1، 2002، ص 123.

(2) أحمد محمد أمين إسماعيل: الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني ، ص 178.

(3) برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ج3، 551.

(4) المصدر نفسه: ج3، ص 572.

التذكير والتأنيث، فالتذكير أقوى من التأنيث، وقد ناسب قوم سيدنا صالح عليه السلام لأنهم كانوا أقوى وأعظم جرما من قوم سيدنا شعيب، فجاءت صيحتهم أعظم. ولعل ما يدعم هذا الفهم حديث القرآن عن قوم صالح وشعيب عليهما السلام وعن موقفهم منهما، وكيف أهلكهم الله وانتقم منهم، وأول ما يسترعي الانتباه نسبة تكرار قصة كل نبي في القرآن، فقد ذكرت مدين قوم شعيب في ستة مواطن تقريبا، وذكرت ثمود في ستة وعشرين موضعا [1] ، أما بالنسبة إلى الموقف من النبي، فكان موقف قوم شعيب عليه السلام بالمقارنة مع قوم صالح أخف وأضعف، وأقصى ما وصلوا إليه في عداوتهم له أن هددوه بالإخراج من القرية، قال تعالى: ﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٨] أما قوم صالح الذين قال عنهم القرآن: ﴿ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١٤٩] فقد بلغوا في عتوهم أن عزموا على قتله، قال تعالى:<<﴿ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النمل: ٤٨ – ٤٩] ولهذا السبب جاءت العبارات الدالة على العذاب أقوى وأشد معهم مما لم يرد مثله مع قوم سيدنا شعيب، فإضافة إلى ما جاء مشتركا بينهما كالصيحة والرجفة يقول تعالى عنهم: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[النمل: ٥١] ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [فصلت: ١٧]، ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [القمر: ٣١]، ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾[الشمس: ١٤]

---

[1] انظر محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لفظة "ثمود" ص ص 196- 197. ولفظة "مدين" ص 760.

ويبدو هذا التعليل أوجه التعليلات لأنه انطلق من موطن الاختلاف قبل الانتقال إلى السياق السابق أو اللاحق.

وبعد هذا العرض، يتبين أن دراسة هذا الموضع من المتشابه اللفظي من الجانب النحوي لم تمكّن من إزالة الإشكال والكشف عن سرّ التذكير هنا والتأنيث هناك، ولعل ذلك راجع إلى أنه لم يحدث أي تغيير في الوظيفة النحوية لأي عنصر من عناصر الجملة في حال تذكير العامل أو تأنيثه، لذلك كان البحث في دلالة كل من التذكير والتأنيث وأثرهما على المعنى هو الأجدى لتوجيه الآيتين، وإنما تمّ إيراد هذا المثال في الدلالة النحوية لأن بعض علماء المتشابه اللفظي انطلقوا في توجيههم له من منطلق نحوي، ولإثبات – بطريق السلب– أنه إذا لم يحدث تغيير في الوظيفة النحوية للمفردات فلن يكون لهذه الدلالة إسهام في الكشف عن حقيقة الاختلاف بين الموضعين المتشابهين من حيث اللفظ، كما تمّ بيانه في المثال الأول المتعلق بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: الدلالة الصرفية:

اهتم علماء اللغة بدراسة بنية الكلمة والأحوال التي تأتي عليها، وجعلوا العلم الذي يعنى بهذا المجال هو علم الصرف أو التصريف، وقد عرفه ابن الحاجب بأنه: << "علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب" ... والكِلِم جمع الكلمة كما أن الخِلِف [الناقة الحامل] جمع الخِلِفة وبمعناه الكلمات... وقوله "التي ليست بإعراب" يخرج علم النحو؛ لأنه تعرف به أحوال أبنية الكلم من جهة الإعراب >> [1] وقد عرفه أحد المعاصرين مع شيء من الشرح بقوله: << علم الصرف: العلم الذي تعرف به الأبنية المختلفة للكلام، وما يشتق منه كأبواب الفعل وتصريفه، وتصريف الاسم، وأصل البناء (الفعل أو المصدر) والمصادر بأنواعها والمشتقات: اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، أفعل التفضيل، اسم الزمان، اسم المكان، اسم الآلة، والتصغير والنسب >> [2] أما باقي الكلمات كالحروف والأسماء المبنية والأفعال الجامدة فليست بداخلة في مجال الدراسة الصرفية.

وإذا كان علم الصرف يعلم دارس اللغة أوزان أو صيغ الكلمات وما كان منها قياسيا يمكن القياس عليه لما لم يسمع عن العرب، أو سماعيا يحفظ ولا يقاس عليه، فإن الأهم من ذلك هو معرفة دلالات تلك الأوزان والصيغ ليختار منها الأنسب عند التعبير عن المعاني المختلفة، إذ أن اللفظة إذا كانت مشتقة – مثلا – فإن لها معنى مرتبطا بالجذر اللغوي الذي تنتمي إليه، ومعنى آخر آتيا من الصيغة التي جاءت عليها، وفي هذا يقول تمام حسان: << إذا كان للكلمة المشتقة معنى مفرد يمكن الاطلاع عليه في المعجم، فإن هذا المعنى المعجمي يقوم على ركيزتين من المعاني الصرفية العامة؛ إحداهما معنى الأصول الثلاثة من حيث إنها تلخص علاقات اشتقاقية بين طائفة من الكلمات،

---

[1] الخضر اليزدي: شرح شافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخط، ت حسن أحمد العثمان، مؤسسة الريان، بيروت،ط1، 2008، ج1، ص ص 123-124.

[2]: محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005، ص 61.

فهذا التلخيص هو معناها، والركيزة الثانية ما ينسب إلى الصيغة الصرفية من معنى عام كالطلب والمطاوعة والاتخاذ...الخ >> [1] والدرس الصرفي في القرآن الكريم من أهم الدراسات التي تكشف عن دقة استعمال القرآن للكلمة بالصيغ المختلفة، فإن قارئ القرآن يجده يعدل من صيغة إلى أخرى في عدة مواضع، فتارة يستعمل – مثلا – صيغة اسم الفاعل " غافر " وتارة أخرى يعدل إلى صيغتي المبالغة " غفّار " و " غفور "، حتى ألف في هذا المجال بعض المعاصرين كتبا خاصة منها " الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم" لعبد الحميد هنداوي، وكتاب " معاني الأبنية " لفاضل صالح السامرائي.

وفي موضوع البحث يجد القارئ أن القرآن الكريم قد عدل في القصة الواحدة من صيغة إلى أخرى في الآيات التي تدخل تحت المتشابه اللفظي، مما يدفع إلى التساؤل عن سر هذا العدول، خاصة إذا كان الحدث أو الموقف يبدو في الظاهر واحدا، وسوف يتم الاقتصار على بعض الأمثلة المأخوذة من قصص مختلفة من أجل الوقوف على سر هذا العدول أو الاختيار.

أ/: إبدال صيغة اسم الفاعل بصيغة المبالغة: "ساحر" بـ " سحّار ":

قال تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأعراف: ١١١ – ١١٢، وقال في موضع آخر: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ الشعراء: ٣٦ – ٣٧

جاءت لفظة " ساحر" على صيغة اسم الفاعل في آية الأعراف، وعلى صيغة المبالغة "سحّار" في آية الشعراء. و<< تستعمل صيغة "فعّال" للمبالغة في اسم الفاعل كضرّاب، ووثاب، وصياح... وتدل هذه الصيغة على أن الفاعل قد اتصف بالفعل كثيرا، وأتاه مرات عديدة، وتكرر حدوثه منه >>[2]

وفي الآية موضوع الدراسة، ذكر ابن عاشور معنى آخر للصيغة وهو النسب، والذي جعله يقول بالترادف بين اللفظين، حيث قال: << وفي هذه الآية "سحار" وهنالك "ساحر" والسحار مرادف للساحر في الاستعمال، لأن صيغة فعّال هنا للنسب دلالة على الصناعة مثل النجار، والقصار،

---

[1]: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000، ج1، ص 31.

[2] خالد بن سعود بن فارس العصيمي: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003، ص 456.

ولذلك أُتْبع هنا وهناك بوصف "عليم" أي قوي العلم بالسحر >> [1] لكن هناك من المفسرين من رأى في كلمة "سحار" معنى المبالغة، قال الزمخشري: << وعارضوا قوله "إن هذا لساحر عليم" بقولهم "بكل سحار عليم، فجاؤوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه >> [2] ولم يبيّن الزمخشري هنا لماذا قال الملأ في آية الأعراف "ساحر" ولم يقولوا "سحار"، وإلى قريب من هذا الكلام ذهب أحد المعاصرين فقال: << إتيان الملأ بلفظة سحار "يأتوك بكل سحار عليم" بدلا من ساحر في سورة الأعراف، وذلك لما رأوا من فرعون فزعه واضطرابه حين قال للملأ حوله "إن هذا لساحر عليم" كان جواب الملأ له لإذهاب الفزع عنه، فأبدلوا لفظة "ساحر" من سورة الأعراف بسحار في هذا المقام، لأنها أشد مبالغة، فإذا كان هذا ساحرا عليما، فإن هناك من هو أسحر منه وأمهر. >> [3] ولعل الرجوع إلى السياق السابق على الآيتين يمكّن من الكشف عن سر الاختلاف في التعبير، قال أبو حيان: << "قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم" وفي الشعراء "قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم" والجمع بينهما أن فرعون وهُمْ قالوا هذا الكلام فحكى هنا قولهم وهناك قوله، أو قاله ابتداء فتلقفه منه الملأ فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما تفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي، فيكلم به من يليه من الخاصة، ثم تبلغه الخاصة العامة >> [4] فوصف سيدنا موسى عليه السلام بأنه ساحر عليم كان من الملأ ومن فرعون، لكن ما قاله فرعون فيه زيادة على ما قاله الملأ، وهي زيادة "بسحره" وفي هذا يقول عبد الحميد هنداوي: << وأنه لم تأت المبالغة (سحار) في سورة الأعراف، لأنه لم ينص على أن المحذور – وهو إخراج موسى لهم من أرضهم – إنما يقع (بسحره) فلم تذكر هذه الكلمة في سورة الأعراف، ومن ثم لم تقابل بصيغة المبالغة (سحار) في وصف السحرة، فكأن الملأ في هذا الموضع لم يتصور أن ما جاء به موسى – وهو ما وصفوه بكونه سحرا – يكون له من القوة والتأثير أن يخرجهم من

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، دت، ج19، ص ص 137-138.

[2] الزمخشري: الكشاف، ص 759.

[3] أحمد محمد أمين إسماعيل: الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني، ص 141.

[4] أبو حيان: البحر المحيط، ج4، ص 454.

أرضهم، فمن لا يحتاج إبطال سحره إلى الإتيان بمهرة السحرة >>[1] ويزيد هذه المسألة وضوحا ما قاله صاحب "المناسبة في القرآن": << فجاء الوصف من فرعون نفسه، وكلامه عند قومه معظم لا يساويه كلام آخر، فعندما يصفه بالسحر والعلم، فمعنى هذا أنه قد بلغ الغاية في وصفه عند هؤلاء الملأ فناسب أن يأتي التعبير القرآني في هذا الموضع بصيغة المبالغة المتفقة مع عظيم ما قاله فرعون في نظر سامعيه، وأما الآية الثانية فلم يكن الوصف قبلها لموسى بأنه ساحر عليم على لسان فرعون، فلم يحتج منهم إلى المبالغة في وصف موسى >> [2]

وعليه، يمكن القول إن الملأ قالوا ما قالوه مرتين، واضطروا إلى إحداث تغيير في كلامهم بسبب ما تمّ ذكره في النقول السابقة، كما يمكن أن يدعم هذا الرأي النظر إلى الاختلافات السياقية الأخرى بين الموضعين، ففي سورة الأعراف اختُلف في تفسير قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٠] ، قال الشهاب الخفاجي: << ثم اختلفوا في قوله " فماذا تأمرون" فقيل إنه من تتمة كلام الملأ وهو الظاهر، وقيل كلام الملأ تمّ عند قوله تعالى" يريد أن يخرجكم " ثم قال فرعون " فماذا تأمرون">> [3] ويفصل أكثر صاحب " تيسير التفسير " مع ذكره كذلك للاحتمالين فيقول: << "فما ذا تأمرون" من تمام قول الملأ، أي فماذا يصدر الأمر منكم؟ والخطاب في كل ذلك من بعض الملأ لبعض أو للعامة أو لمن يلي الملأ.>> [4] فبادروا باقتراحهم الذي روته الآية، وطلبوا الإتيان بكل ساحر عليم، لكن يبدو – والله أعلم – أن فرعون لم يقتنع بمقترح الملأ، وهوّل من المسألة، ووصف سيدنا موسى بأنه ساحر عليم، وأضاف كلمة بسحره في قوله تعالى:﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٣٥] كأنه يريد من الملأ مقترحا آخر أقوى من الأول، فغيروا في كلامهم، فقالوا "سحار" بدل "ساحر"

---

(1) عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية،بيروت،ط،2002، ص ص 103-104.

(2) مصطفى شعبان عبد الحميد: المناسبة في القرآن، دراسة لغوية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2007، ص 120.

(3) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ضبط وتخريج عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ج4، ص 342.

(4) محمد بن يوسف اطفيّش: تيسير التفسير، ت إبراهيم بن محمد طلاي، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط 1998، ج5، ص 141.

و"ابعث" بدل "أرسل" ليناسب كل ذلك الموقف الجديد، قال صاحب الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني: << لفظة (وابعث) في سورة الشعراء توحي بإرسال أتباع فرعون إلى المدينة، ليس لتبليغهم فقط، وإنما حثهم على المجيء، وانتقاء من هم أمهر السحرة ترغيبا وإيماء بالترهيب من فرعون >>[1]

وهذا الفهم لسياق ما وقع لا يتناسب مع ما قاله أبو حيان في النقل السابق عنه في تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأعراف: ١٠٩]: "أو قاله ابتداء فتلقفه منه الملأ فقالوه لأعقابهم" لا يفسر التغييرات التي حدثت في المقول كحذفهم "بسحره" في آية الأعراف، كما لا يفسر قولهم لفرعون تارة "أرسل" و"ساحر عليم " وتارة أخرى "ابعث" و"سحار عليم.

وبعد كل هذا يمكن القول إن القرآن الكريم لا يستعمل اللفظة إلا في مكانها المناسب بحيث تدل على معناها الخاص بها الذي لا تدل عليه أي لفظة أخرى، فاختلاف الصيغة الصرفية هنا دل على أن الملأ تعدد القول منهم، ولم يقولوا كلاما واحدا ثم غيّر فيه في موضع وأبقي عليه في موضع آخر، كما أن تغيير الصيغة تبعه تغير في السياق اللغوي الذي وردت فيه، وكل ذلك أسهم في الوصول إلى تعدد المواقف، واختصاص كل موقف بمقوله مما يزيل الإشكال في هذا الموضع من مواضع المتشابه اللفظي.

ب/ إبدال المفرد بالجمع: "دارهم" بـ " ديارهم "

قال تعالى في قصة سيدنا صالح عليه السلام: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف: ٧٨] وقال في موضع آخر: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [هود: ٦٧]

وقال كذلك في قصة سيدنا شعيب عليه السلام: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأعراف: ٩١] وقال في موضع آخر : ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ

(1) أحمد محمد أمين إسماعيل: الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني، ص ص 141-142.

ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [هود: ٩٤] وقال كذلك: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٧]

استعمل القرآن الكريم في القصتين معا لفظة "دارهم" بالإفراد تارة، و"ديارهم" بالجمع تارة أخرى، وقد وقف كل من مصنفي المتشابه اللفظي وغيرهم من المفسرين عند هذه الآيات لفهم سر هذا الاختلاف، وقد استهل الخطيب الإسكافي حديثه عنها بالإشارة إلى جواز التعبير بالطريقتين، ثم علل طريقة الإفراد فقال: << إذا كان الجمع والتوحيد جائزين، كان وجه التوحيد على طريقين أحدهما؛ أن يراد بدارهم بلدهم فيوحد ذهابا إلى معنى "البلد" وهو موحد، أو يذهب به مذهب الجنس كما تقول دينارهم شرّ من درهمهم كما قال [بشار بن برد]:

دينار آل سليمان ودرهمهم *** كالبابليين حُفّا بالعفاريت >> [1]

وذكر أبو حيان المعنى نفسه لـ "دارهم" فقال: << أي في بلدهم كُنّي بالدار عن البلد، وقيل وحد والمراد الجنس >> [2] أما الرازي فأشار إلى معنى البلد فقط لكلمة "دار" فقال: << "فأصبحوا في دارهم جاثمين" يعني في بلدهم، ولذلك وحّد الدار، كما يقال دار الحرب، ومررت بدار البزازين، وجمع في آية أخرى فقال "في ديارهم"[هود/94] لأنه أراد بالدار ما لكل واحد منهم من منزله الخاص به >> [3] لكن هذه الآراء لا تبين لماذا خص القرآن بعض المواضع بالإفراد والبعض الآخر بالجمع، وما مدى مناسبة كل استعمال للسياق الذي ورد فيه، بحيث لا يمكن استبدال أحدهما بالآخر. وقد حاول الإسكافي الإجابة عن هذا التساؤل في الموضع السابق، وحاول تفسيره بالرجوع إلى سياق القصة وأحداثها فقال:<< إنه تعالى وحّد ذلك في كل مكان ذُكر في ابتدائه " وإلى ثمود أخاهم صالحا" [الأعراف/73، هود/61] و "إلى مدين أخاهم شعيبا" [الأعراف/85، العنكبوت/37]ولم يذكر إخراج النبي ومن آمن معه من بينهم، فجعلهم بني أب واحد، وجعلهم

---

(1) الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ج2، ص 618.

(2) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج4، ص 424.

(3) الرازي: مفاتيح الغيب، م5، ج14، ص 145.

لذلك أهل دار واحدة، ورجاء أيضا أن يصيروا بالإيمان فرقة واحدة. >> [1] فمواضع الإفراد اشتركت في استهلال القصتين بـ" إلى ثمود أخاهم..." و " إلى مدين أخاهم..." إضافة إلى عدم الإشارة إلى إخراج النبي وأتباعه من بلدهم، مما يدل على وحدة الأصل ووحدة الدار، مما ناسبه التعبير بالإفراد "في دارهم"، أما المواضع الأخرى، فقد فقدت هذين الشرطين اللذين ذكرهما، فكان التعبير بالجمع هو الأنسب، حيث قال:<< وكل موضع أخبر عن تفرقة بينهم وإخراج النبي ومن آمن منهم معه أخبر عنه الإخبار الدال على تفرق شملهم، وتشتت أمرهم، وذهاب المعنى الذي كان يجمعهم لأب واحد، ودار واحدة، وأن يصيروا مع المؤمنين فرقة واحدة.>> [2] ومع ما في هذا التوجيه من الوجاهة بسبب التشابه الحاصل في الموضعين، إلا أن هناك توجيها آخر يراعي السياق الأقرب، ويكشف أكثر عن سر المخالفة بين الموضعين، يقول الكرماني:<< قوله " فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين" وقال " وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين "حيث ذكر الرجفة وحّد الدار، وحيث ذكر الصيحة جمع، لأن الصيحة كانت من السماء، فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة، فاتصل كل واحد بما هو لائق به >> [3] وإلى مثل هذا ذهب البقاعي مع شيء من التفصيل فقال:<<ولعل توحيد الدار هنا مع الرجفة في قصة صالح وشعيب عليهما السلام في قوله تعالى:"فأصبحوا في دارهم جاثمين" أي مساكنهم، وجمعها في القصتين مع الصيحة في سورة هود للإشارة إلى عِظم الزلزلة والصيحة في الموضعين، وذلك لأن الزلزلة إذا كانت في شيء واحد كانت أمكن، فتكون في المقصود من النكال أعظم، والصيحة من شأنها الانتشار، فإذا عمت الأماكن المتنائية والديار المتباعدة فأهلكت أهلها... كانت من القوة المفرطة والشدة البالغة بحيث تنزعج من تأمُّل ذلك النفوس. >> [4] إلا أن تفسيره الدار هنا بالمساكن لا يبين الفرق بين الموضعين، ولماذا اختص أحدهما بالرجفة أو بالصيحة دون الآخر، ولعل الأخذ برأي الرازي هو الأقرب إلى الصواب مع إضافة بعض الشروح التي ذكرها غيره من العلماء حتى يتم الاهتداء إلى سر

---

[1] الخطيب الإسكافي: المصدر السابق: ج2، ص 619.

[2] المصدر نفسه: ج2، ص 620.

[3] الكرماني: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 77.

[4] برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ج3، ص 60.

اختيار كل صيغة؛ فحيث عبر بالجمع "ديارهم" فالمقصود المنازل أو المساكن التي تخص كل واحد منهم، واقتران الصيحة بها للدلالة على عظمها وقوتها بحيث تخترق تلك المساكن لتصل إلى من بداخلها، فقد يُتصَور أن الصيحة التي من صفاتها الانتشار في كل مكان باعتبارها صوتا، قد لا تصل إلى من هو في منزله أو في مسكنه، حيث أن الصوت تضعف قوته كلما كان هناك حاجز بينه وبين الإنسان، وعليه يمكن تصور النجاة لمن احتمى بالمنازل دون غيره ممن هو بالعراء عرضة لصوت الصيحة، أما التعبير بالإفراد "دارهم" فالمقصود به البلد أو المكان الذي يعيشون فيه، واقترن به العذاب بالرجفة أو الزلزلة وهو الأنسب، ذلك أن الزلزلة عندما تقع إنما تصيب المكان الذي توجد به المنازل، ولا تتجه إلى المنازل منزلا منزلا دون الأماكن الخالية منها، وعليه فلا يناسبها هنا التعبير بالجمع، لأنه قد يُتصور أن الذين ماتوا بالرجفة هم من كانوا داخل منازلهم، وأن من وجد منهم في العراء، لم يذق عذابها، والظاهر من الآيات أنهم ذاقوا العذاب بالصيحة وبالرجفة، سواء أكانوا داخل المنازل أم خارجها، وقد أسهم الاختلاف بين الإفراد والجمع في الدلالة على التنوع في العذاب، خاصة وأنه قد حكى أبو حيان عن مجاهد والسدّي أن الرجفة هي الصيحة.[1]

وبعد كل هذا، يتبين أن القرآن إنما يستعمل اللفظة في المكان المناسب، وأنه حينما استبدل صيغة صرفية بأخرى، جاءت كل واحدة مؤدية للمعنى الملائم لها في سياقها الذي وردت فيه، بحيث لا يمكن أن تنوب عنها الصيغة الأخرى.

رابعا: الدلالة الصوتية:

في البحث هنا، تكون العناية بالفاصلة القرآنية التي عرفها الرماني بقوله:<< الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني >> [2] وعرفها الزركشي بقوله: << هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع >> [3] وهي جزء من الدراسة الصوتية في اللغة، إذ دراسة الصوت أوسع بكثير، حيث تطال اللفظ حيث وقع في التركيب، وقد فصل تمام حسان في جوانب

---

(1) ينظر أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج4، ص 424.

(2) الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص97.

(3) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 50.

هذه الدراسة فذكر منها؛ الفاصلة والإيقاع والحكاية وغيرها [1] وقد عني النقد الأدبي كذلك بدراسة هذا الجانب، واصطلح على تسميته بـ "اللفظ" في مقابل "المعنى" أو "الشكل في مقابل "المضمون" فـ << الاهتمام بجمال صوت الكلمة – أي صورتها الأولى – قديم قدم الأدب العربي، ولطالما جنح النقاد ودارسو الإعجاز القرآني إلى استحباب ألفاظ بعينها لمجرد حلاوة نغمها >>. [2] وقد كان هناك اختلاف – قديما وحديثا – في قيمة الفاصلة القرآنية من حيث مجيئها لمراعاة جانب النغم والإيقاع، أم أن المعنى هو الذي اقتضاها.

أولا: الفاصلة القرآنية بين القول بمراعاة الإيقاع ومراعاة المعنى

أ/ القول بمراعاة الإيقاع:

لعل الفراء (ت207) من أقدم من قال بأن الفاصلة القرآنية قد تأتي لموافقة رؤوس الآيات، ففي تعليقه على بعض فواصل من سورة الأحزاب يقول: <<وقوله "وأطعنا الرسولا" [آية66] يوقف عليها بالألف، وكذلك "فأضلونا السبيلا" [آية67] و "الظنونا" [آية8] يوقف على الألف لأنها مثبتة فيهن، وهي مع آيات بالألف >>[3] فقد جعل مجيء هذه الألف مع كون الكلمة مقترنة بالألف واللام من أجل موافقة آيات سورة الأحزاب التي ختمت فواصلها بالوقوف على الألف ما عدا الآية الرابعة التي ختمت بقوله تعالى﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤] حيث لم تزد فيها الألف كما زيدت في مثيلتها في الآية 67 وإن كان قد ذكر في الموطن السابق أن زيادة الألف على ما اقترن بالألف واللام مما تجيزه اللغة. وفي موطن آخر من كتابه عند تفسيره لسورة الضحى يقول: << "وما قلى" يريد: وما قلاك، فألقيت الكاف كما يقول: قد أعطيتك وأحسنتُ، ومعناه وأحسنت إليك، فتكتفي بالكاف الأولى من إعادة الأخرى، ولأن رؤوس الآيات بالياء فاجتمع ذلك فيه >> [4] ويفهم من هذا الكلام أن << حذف الكاف لأمرين: الأول

---

(1) ينظر تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص ص 175-225.

(2) أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1994، ص 31.

(3) أبو زكريا يحي بن زياد الفرّاء: معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، ج2، ص 350.

(4) المصدر السابق: ج3، ص ص 273-274.

الإيجاز بالحذف اكتفاء بدلالة الكاف الأولى في "ودعك" والثاني مراعاة الفواصل في السورة "والضحى" "قلى" فترضى" فآوى" "فهدى" وكلاهما أمر بلاغي، فمن المعلوم أن مراعاة المعنى وطلب الاختصار بلاغة، ومراعاة اللفظ وطلب المناسبة بين الألفاظ بلاغة لما فيه من حسن وجمال >> [1] وقد انتقد أحمد ياسوف نظرة الفراء بقوله: << وقد مضت قرون على نظرة الفراء، وجهد القدامى في تأكيد تمكن الفاصلة، واستقلال كل صيغة بمعنى، ويعد ما ذكروه دراسات جمة ترد على الفراء بأن تمكن الفاصلة بعيد عن مجرد المناسبة اللفظية >> [2]. وإن شمل هذا النقد الكثير من المواطن التي علل فيها الفراء بمراعاة الفاصلة، أو تناسب الآي، إلا أن تعليله لآية سورة الضحى فيه مراعاة للمعنى أولا لوجود حذف، ثم جاء التعليل بالمناسبة للفاصلة ثانيا.

أما في العصر الحالي، فقد ذهب تمام حسان في كتابه "البيان في روائع القرآن" إلى القول برعاية الفاصلة، حيث قال عنها مبينا وظيفتها << تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقق للنص جانبا جماليا لا يخطئه الذوق السليم، لأننا مهما يكن من شيء نحس أنها تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة>> [3] وهو أمر لا يخالف فيه أحد، إلا أنه يقول في موضع آخر: << ولقد يتكلم البلاغيون في أغراض التقديم والتأخير فيوردون من أسباب ذلك أمورا تدور حول رعاية المعنى، وهذا أمر لا اعتراض عليه، ولكنني لا أعلم واحدا منهم جعل من أغراض التقديم والتأخير الانتفاع بجرس اللفظ >> [4] ثم استشهد بعد ذلك ببعض الآيات تم فيها تقديم وتأخير بحيث تغيرت رتبة عناصر الجملة فيها، إلا أن ذلك لم يؤثر على المعنى، وإنما جيء به من أجل الفاصلة، حيث قال: <<قارن من ذلك ما يلي:

رتبة أصلية	رتبة مشوشة من أجل الفاصلة
1- وينفقون مما رزقناهم	ومما رزقناهم ينفقون (البقرة/3)
2- وهم يوقنون بالآخرة	وبالآخرة هم يوقنون (البقرة/4)

(1) محمد صادق درويش: إعجاز القرآن الكريم، دار الإصلاح، دمشق، ط1، 2009، ص ص 626-627.

(2) أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنية، ص 310.

(3) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص 195.

(4) المرجع نفسه: ج1، ص 198.

3- وكانوا يظلمون أنفسهم وكانوا أنفسهم يظلمون (الأعراف/177)

4- فلا يؤمنون إلا قليلا (النساء/ 46،155) فقليلا ما يؤمنون (البقرة/88)

لاحظ على وجه الخصوص رقم 4 فإنك واجد فيه شاهدين من القرآن اشتملا على ألفاظ بعينها اختلفت رتبتها في أحدهما عنها في الآخر رعاية للفاصلة >> [1] إن اختلاف الرتبة في الأمثلة الثلاثة الأولى واضح وجلي، فقد تقدم الجار والمجرور عن متعلقه وهو الفعل "ينفقون" و"يوقنون" في المثالين الأول والثاني، والمفعول به عن فعله "يظلمون" في المثال الثالث، وقد أمكن إرجاع الجمل إلى ترتيبها الأصلي كما فعل دون أن يحدث خلل في التركيب، ذلك أن الجملة – هنا – هي جملة واحدة تم فيها تقديم وتأخير، لكن يبقى فقط البحث عن أثر ذلك في المعنى، ولا شك أن لتقديم بعض عناصر الجملة على بعض أثرا في المعنى يقول عبد القاهر الجرجاني (ت 471): << واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وأن يعلل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب، حتى تطرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه... فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلا على الفعل، في كثير من الكلام، أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخر، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال. ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم سواء، أن يدعي أنه كذلك في عموم الأحوال.>> [2] لكن يبقى المثال الرابع الذي خصه بالحديث يحتاج إلى تحليل خاص، فقد وقف عنده العلماء من النحويين والمفسرين وقفة من حيث الوظيفة النحوية ومن حيث أصل التركيب، وانعكاس ذلك على المعنى، مما يجعل هذا المثال غير صالح للاستشهاد به في هذه المسألة، فقد اختلفوا في إعراب كلمة " قليلا " في آية البقرة فقيل فيها إنها << نعت لمصدر محذوف أي فإيمانا فليلا، أو لزمان محذوف، فزمانا قليلا، ويجوز أن يكون منصوبا على نزع الخافض، أي فبقليل، وأن يكون حالا من فاعل " يؤمنون " أو من ضمير ذلك المصدر المحذوف، والقول الأول أظهر >>

---

[1] المرجع السابق: ج1، ص ص 198-199.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تقديم وشرح ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003 ، ص 151.

[1] أما " ما " فقد قال فيها الألوسي : << مزيدة لتأكيد معنى القلة لا نافية، لأن ما في حيزها لا يتقدمها، ولأنه وإن كان بمعنى لا يؤمنون قليلا فضلا عن الكثير، لكن ربما يتوهم لاسيما مع التقديم أنهم لا يؤمنون قليلا بل كثيرا، ولا مصدرية لاقتضائها رفع القليل بأن يكون خبرا والمصدر المعرف بالإضافة مبتدأ والتقدير " فإيمانهم قليل " وجوّز بعضهم كونها نافية بناء على مذهب الكوفيين من جواز تقدم ما في حيزها عليها ولم يبال بالتوهم >> [2] والذي يفهم من هذا الكلام أنه إذا كانت " ما " زائدة لتأكيد القلة، فإنها تزيل احتمال معنى الكثرة، وعليه فالجملة حينذاك جملة مثبتة وليست منفية، أما إذا قُدّرت " نافية " فإنها لا تزيل احتمال معنى الكثرة وأن صاحبها لا يبالي بالاحتمال والتوهم كما ذكر، هذا وقد ذكر الرازي في تفسيره احتمالا آخر في فهم الآية حيث قال: << معناه لا يؤمون أصلا، لا قليلا ولا كثيرا، كما يقال: قليلا ما يفعل بمعنى لا يفعل ألبتة، قال الكسائي: تقول العرب مررنا بأرض قليلا ما تنبت يريدون لا تنبت شيئا >> [3] وهذا المعنى الذي أمكن فهمه من هذه الآية لا تحتمله العبارة الثانية في سورة النساء ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ فبعد أن حكى أبو حيان قول الزمخشري وابن عطية من أن القلة يراد بها العدم علق بقوله: << وهذا الذي ذكره الزمخشري وابن عطية من أن التقليل يراد به العدم هو صحيح في نفسه، لكن ليس هذا التركيب الاستثنائي من تراكيبه، فإذا قلت لا أقوم إلا قليلا لم يوضع هذا لانتفاء القيام ألبتة، بل هذا يدل على انتفاء القيام منك إلا قليلا فيوجد منك، وإذا قلت قلما يقوم أحد إلا زيد، وأقل رجل يقول ذلك احتمل هذا أن يراد به التقليل المقابل للتكثير، واحتمل أن يراد به النفي المحض. >> [4]

من خلال هذه الأقوال يتبين عدة فروقات بين الجملتين يمكن إجمالها فيما يأتي:

– إن المثالين ليسا جملة واحدة، فكل تركيب جملة مستقلة بنفسها.

---

[1] عبد الفتاح أحمد الحموز: التأويل النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض،ط1، 1984، ج1، ص 511.

[2] الألوسي : روح المعاني، ج1، ص 433.

[3] الرازي: مفاتيح الغيب، م1 ج3، ص 175.

[4] أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج3، ص 375.

– جملة "قليلا ما يؤمنون" جملة مثبتة وليست منفية، وفي هذه الحالة تكون "ما" توكيدية، والترتيب الأصلي لعناصرها هو "يؤمنون قليلا".

– إذا اعتبرت "ما" نافية، تصبح الجملة منفية وترتيب عناصرها الأصلي "ما يؤمنون قليلا".

– عبارة "فلا يؤمنون إلا قليلا" هو تركيب استثنائي منفي، وهو أحد أساليب القصر، صيغته (النفي + إلا) والتقديم والتأخير بين عناصره لا يعطي جملة " قليلا ما يؤمنون ".

– جملة " قليلا ما يؤمنون" فهم منها معنيان؛ معنى القلة ومعنى العدم، أما التركيب الثاني فيفهم منه معنى واحد هو معنى القلة.

وعليه، فليس الأمر مجرد ألفاظ بعينها اختلفت رتبتها في أحدهما عنها في الآخر رعاية للفاصلة كما جاء في كلام تمام حسان السابق، فالمثال مثالان؛ أحدهما اعتراه تقديم وتأخير، وهو مثال آية البقرة، وكان لذلك أثره على المعنى، أما الثاني فلم يعتره أي تقديم أو تأخير.

إضافة إلى الآيات السابقة، فقد عمد تمام حسان إلى الآيات الرابعة والخامسة والسادسة من سورة الجاثية، والتي تنتهي فاصلتها بالكلمات "يوقنون"، "يعقلون" و"يؤمنون" ثم علق عليها بقوله << ولقد تتوالى الفواصل في آيات متتابعة ومعناها مع تواليها واحد، وإنما توالت على رغم وحدة المعنى لغرض لولاه لأجزأت عن التوالي فاصلة واحدة، من ذلك أن المؤمنين هم بالضرورة موقنون، لأنهم لا يؤمنون إلا مع رسوخ اليقين بما آمنوا به وهم بالضرورة يعقلون ما أيقنوا به، لأن يقينهم لا يأتي إلا نتيجة تدبر ودلالة عقلية، أي المؤمنون يوقنون ويعقلون، ومعنى هذه الألفاظ كما يتضح متشابه إلى درجة قرب دلالتها من التوحد، وهذه الألفاظ تتوالى في موقع الفاصلة >> [1] وهذا الذي ذُكر لا يتوافق مع ما تم تقريره من قبل في الدلالة المعجمية، من أن لكل لفظ خصوصية تميزه عن غيره، وتجعله مناسبا للسياق الذي ورد فيه، حتى وإن بدا أن بعض الألفاظ مترادفة، وعليه يمكن أخذا برأيه هذا أن يُخالف بين هذه الفواصل فتوضع هذه مكان الأخرى دون أن يحدث خلل في المعنى، حيث

---

[1] تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص 200.

أجاز أن تنوب واحدة عن الأخرى فتجزئ. وهذه الفواصل من سورة الجاثية مما وقف عنده المفسرون لبيان مناسبة كل فاصلة لسياقها اللغوي الذي وردت فيه. [1]

وعليه، يمكن القول بأنه حيث كان هناك تقديم أو تأخير، أو اختلاف في ألفاظ الفواصل، فإن المعنى معتبر، ولا يكون ذلك من أجل رعاية الفاصلة فقط، يقول أحد المعاصرين : <<ولو كان أمر الفاصلة مقصودا لذاته، لكانت كل سورة في القرآن مبنية على فاصلة واحدة تنتظم آياتها من البداية إلى النهاية، ولكننا وجدنا أن كل سورة لها نظام إيقاعي خاص، فبعضها يلتزم فاصلة واحدة، وبعضها الآخر تتعدد فيه الفواصل، وكل ذلك يأتي مراعى فيه المعنى والسياق والجرس وجو السورة العام >> [2] وحتى في تلك لفواصل التي تبدو للوهلة الأولى أنه جيء بها من أجل الفاصلة، فإن البحث المستمر عن سر ذلك قد أمكنه أن يكتشف ارتباطها بالدلالة، ففي زيادة الألف – مثلا – في سورة الأحزاب التي تمت الإشارة إليها من قبل في كلام الفرّاء يعلق عليها تمام حسان بقوله: << فمن المقرر في القواعد أن الألف تنوب عن التنوين الذي بعد الفتحة عند الوقف، كما سبق في قوله تعالى "فلا يؤمنون إلا قليلا" [النساء/46]ولأن التنوين الذي نابت عنه الألف لا يجتمع مع أداة التعريف (ال)، خلت النصوص العربية من الجمع بينهما حتى في قوافي الشعر، لأن الألف التي تجامع (ال) في قوافي الشعر ألف إطلاق وليست ألف إبدال أو تعويض، ومع ذلك تأتي ألف الإبدال في القرآن في كلمات اقترنت بأداة التعريف، وكانت هذه الألف في هذه الحالة لرعاية الفاصلة.>> [3]

إلا أن هناك من يرى في هذه المواضع رؤية أخرى مرتبطة بالمعنى والدلالة، يقول خالد قاسم بني دومي: << والذي أراه أن اعتبار الفاصلة القرآنية غير مقصود لذاته في الآيات التي أثبتت فيها ألف المد أو ألف الإطلاق عند البعض وهي – على الرغم مما تشيعه في النص القرآني من نسق إيقاعي مدهش – تأتي لتحقيق غرض دلالي >> [4] وفي موضع آخر يفسر مجيء كلمة "السبيلا"

---

(1) انظر: الزمخشري: الكشاف، ص1004. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج25،ص 328. والألوسي: روح المعاني،ج 25، ص194.

(2) خالد قاسم بني دومي:دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006، ص 215.

(3) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص 200.

(4) خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص، 214.

بزيادة الألف دون مثيلتها في الآية الرابعة من سورة الأحزاب فيقول: << فيغلب على ظني أن إثبات الألف في قوله " السبيلا " يدل على عظمة هذه السبيل، وذلك أن هؤلاء الكافرين الذين هم مدار الحديث، يدركون حيث يحيق بهم العذاب الحقيقة فيتمنون لو أنهم أطاعوا الله ورسوله، ولم يطيعوا سادتهم وكبراءهم الذين أضلّوهم سبيل الحق... ولما تبين لهم – بعد فوات الأوان – أن هذه السبيل كذلك، أكبروها في نفوسهم فرافق ذلك إكبار لها في اللفظ فأثبتوا الألف... أما قوله "وهو يهدي السبيل" فلم يحتج فيه إلى مثل تلك الزيادة فجاء على الأصل >> [1] كما فسّر فاضل صالح السامرائي هذا الاختلاف بين الموضعين فقال عن كلمتي "الرسول" و"السبيل" : << مع أن القياس لا يقتضي المد وهو لم يمد "السبيل" في أول السورة، وإنما قال " والله يقول الحق وهو يهدي السبيل" والفرق بينهما أن آيتي المد هما من قول أهل النار وهو يصطرخون فيها ويمدون أصواتهم بالبكاء كما أخبر ربنا بقوله "وهم يصطرخون فيها" [فاطر/37] فالمقام هنا مقام صراخ ومد صوت فناسب المد، في حين أن الآية الأخرى ليست كذلك، وإنما هي قول الله مقررا حقيقة عقلية معلومة، قال تعالى:" ما جعل لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تُظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل" فالمقام يقتضي المد هاهنا بخلاف ذلك>>. [2]

ب/ القول بمراعاة المعنى أولا:

لعل الرماني من أقدم من جعل الفاصلة تابعة للمعنى، ولا تأتي لمجرد مراعاة الإيقاع أو مناسبة الآيات من جانب النغم، حيث يقول: << الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها >> [3] ويقول في موضع آخر << وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى

---

[1] المرجع نفسه: ص 215.

[2] فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في القرآن، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 2006، ص ص 33-34

[3] الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 97.

إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها >> [1] وهذا التركيز من قبله على المعنى إنما كان من أجل نفي السجع عن القرآن الكريم، لأنه يرى أن السجع عيب لأن المعنى فيه يكون تابعا للفظ، لكن بعد أن يراعى المعنى لا يمنع ذلك أن تأتي الفاصلة محسنة للكلام بتشاكل أصواتها، ومن عباراته الدالة على هذا قوله: << إذا كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه فهو بلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنة... والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل >> [2]

ومن الذين نحوا هذا المنحى وقالوا برعاية المعنى الباقلاني الذي يأتي الحديث عنه فيما بعد عند ضرب بعض الأمثلة للمتشابه اللفظي المرتبطة بالفاصلة القرآنية، وكذلك عبد القاهر الجرجاني الذي يقول :<< وكذلك الحكم إن زعم زاعم أن الوصف الذي تُحُدّوا إليه هو أن يأتي بكلام يجعلون له مقاطع وفواصل كالذي تراه في القرآن، لأنه أيضا ليس بأكثر من التعويل على مراعاة وزن، وإنما الفواصل في الآي كالقوافي في الشعر، وقد علمنا اقتدارهم على القوافي كيف هو، فلو لم يكن التحدي إلا إلى فصول من الكلام يكون لها أواخر أشباه القوافي لم يُعْوزهم ذلك ولم يتعذر عليهم>> [3]

أما في العصر الحديث فقد رفضت عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ مجيء الفاصلة لمراعاة جانب الإيقاع دون أن يكون المعنى هو الذي اقتضى مجيئها على تلك الصورة، ففي تعليقها على آيات سورة الضحى وحذف الكاف من قوله تعالى "وما قلى" تقول:<< وأما تعليل الحذف برعاية الفاصلة، فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل، ولو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا، لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى" فأما اليتيم فلا

---

[1] المصدر نفسه: ص 98.

[2] المصدر نفسه: ص ص 97 - 99.

[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 371.

تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدّث.. ولم يقل فخبّر لتتفق الفواصل على مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلقون به >> [1]

من خلال عرض هذه الآراء يمكن القول بأنه لا تعارض بين الكثير منها، فإذا كانت الفاصلة تابعة للمعنى بسبب من تقديم وتأخير أو حذف – مثلا – ثم جاءت موافقة لبعض الفواصل من حيث الإيقاع، فذاك هو الوجه الأكمل، وكلا الأمرين معتبر، يقول ابن سنان الخفاجي (ت466هـ):<< الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول على ما ذكرناه، والفواصل على ضربين؛ ضرب يكون مسجوعا وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع وما لم تتماثل، ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين أعني المتماثل والمتقارب من أن يكون طوعا سهلا وتابعا للمعاني، وبالضد من ذلك حتى يكون متكلفا يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض، فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوّه في الفصاحة، وقد وردت فواصله متماثلة متقاربة >> [2] وهو المعنى نفسه الذي تمّ إيراده عن الرماني في قوله << فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه [أي الغرض الذي هو الإبانة عن المعاني] فهو بلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنة >> ولا داعي لهذا الفصل بين مراعاة المعنى فقط دون الفاصلة أو العكس، فعندما جاء القرآن بفاصلة "فحدث" دون "فخبِّر" فليس معنى ذلك التقليل من الملحظ الشكلي وعدم اعتباره أصلا، فليس كله متماثل الفواصل أو متقاربها، فإذا توالت الفواصل متماثلة أو متقاربة، ثم خولف في واحدة منها، فلا يستدل من ذلك أن المعنى مراعى أولا في القرآن لا الشكل أو الفاصلة، فإذا صدق هذا على كلام البشر المتلبس بالعجز، فإن القرآن الكريم لا يصدق عليه ذلك، فحيث تماثلت الفواصل فذاك هو الوجه الأكمل، وحيث لم تتماثل فذاك هو الوجه الأكمل.

ثانيا: المتشابه اللفظي والفاصلة القرآنية:

---

[1] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط6، دت، ص 35.

[2] ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ت علي فودة، مكتبة الخاجي، مصر، ط1، 1932، ص ص 165-166.

ورد في القصص القرآني عدة آيات من المتشابه اللفظي كان لها ارتباط كبير بمسألة الفاصلة القرآنية، وسيتم الاقتصار هنا على مثالين؛ أحدهما من قصة سيدنا موسى عليه السلام والآخر من قصة سيدنا صالح عليه السلام.

أولا: تقديم " هارون" على "موسى"

قال تعالى: ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠ ﴾ [طه: ٧٠] قدم المولى – عز وجل– هارون على موسى في هذه الآية على خلاف المواضع الأخرى، يقول الباحث مجدي حسين: <<اقترن موسى وهارون عليهما السلام في القرآن الكريم عشر مرات، تسع منها يتقدم فيها ذكر (موسى) على (هارون) أربع منها في غير الفاصلة، وخمس في الفاصلة، وتقدم ذكر (هارون) على (موسى) في هذا الموضع، وكان هارون وزيرا (لموسى) وأدنى منه مرتبة، فكان الترتيب الذهني يقتضي تأخيره >>[1] أما المواضع التي جاءت فواصل إضافة إلى آية سورة "طه"، فهي قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ ﴾ [الأعراف: ١٢١ – ١٢٢] وقوله: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٤٨ ﴾ [الشعراء: ٤٧ – ٤٨] وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤ ﴾ [الصافات: ١١٤] وقولـه: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠ ﴾ [الصافات: ١٢٠] والظاهر أن الفواصل التي وقع فيها هذا الاختلاف كان الكلام فيها كلام السحرة في قصة سيدنا موسى، حيث قدم هارون على موسى في آية سورة"طه" دون آيتي "الأعراف" و"الشعراء". وقد وجه كثير من المفسرين قديما وحديثا هذا الاختلاف مركزين على موضعي "الأعراف" و"طه" بمراعاة الفاصلة، قال ابن عطية (ت 546 هـ): << وقدم هارون قبل موسى لتستوي رؤوس آي الفواصل >> [2] وقال عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني << قدم هارون هنا مع أفضلية موسى عليه لمراعاة الفواصل في سوابق هذه الآية ولواحقها>> [3] وقال محمد بن يوسف اطفيّش: << والآية [أي آية الأعراف]وآية "طه" دلتا على جواز الذكر بالمعنى، فإنه هنا ذكر موسى قبل هارون، وفي طه ذكر هارون قبله، وما

---

(1) مجدي حسين: التوجيه اللغوي لمشكل القرآن الكريم، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط 2007، ص 427.

(2) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج4، ص 52.

(3) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: معارج التفكر ودقائق التدبر: ج8، ص 176.

قالوا إلا بتقديم أو تأخير فقط، أخر هنا هارون لأن الفاصلة على النون، وفي طه لأن الفاصلة على الألف>> [1] وغيرهم من المفسرين الذين أوردوا في تفاسيرهم القول بمراعاة الفاصلة. [2]

وقد كانت هذه المسألة مما استوقف "الباقلاني" عند محاولة إبطاله القول بوجود السجع في القرآن، حيث يقول: << وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع، ولتساوي مقاطع الكلام، فليس بصحيح، لأن القاعدة عندنا غير ما ذكروه، وهي أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة، وتتبين فيه البلاغة، وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة، ونُبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مُبتَدأ ومكررا... فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها إظهارا للإعجاز على الطريقين جميعا دون التسجيع الذي توهموه >>[3]

وفي الحقيقة، إن الباقلاني هنا لا يكشف عن سر هذا التغاير، إذ مجرد القول بورود القصة مكررة في عدة مواطن – وهو حقيقة معروفة – غير كاف للقول بإعجازه ما لم يُبحَث عن سر الاختلاف في ذاك التكرار، فـ: << عبارة الباقلاني تلك تلقفها من جاء بعده ورددوها دون زيادة ولا نقصان، وكأنهم ظفروا ببغيتهم، فليس لديهم ما يقولون من تعليل هذا التقديم المحدود لمتعاطفين إعادة لقصة طويلة، والألفاظ هي الألفاظ دون زيادة ولا نقصان، والموقف الذي سيقت فيه هنا وفي المواضع الأخرى هو نفسه دون تغير، وكيف تظهر الفصاحة وتتباين البلاغة كما يزعم بسبب هذا التقديم>> [4] وقد حاول المفسرون أن يجدوا توجيها لهذا التقديم والتأخير، وفي هذا دلالة على أنه لا يكون إلا لغرض معنوي، يقول "شهاب الدين الخفاجي" (ت 1069 هـ) في معرض رده على أن الترتيب بين هارون وموسى لا نكتة فيه، وأن العطف بالواو بين هارون وموسى لا يقتضي الترتيب:<< وكون الواو لا تفيد الترتيب لا يستلزم أنه ليس لتقديمه نكتة، إذ مثل الكلام المعجز لا

---

[1] محمد ين يوسف اطفيّش: تيسير التفسير، ت إبراهيم بن محمد طلاي، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط 1998، ج5، ص 148.

[2] انظر: الألوسي: روح المعاني، ج 16، ص 720. وابن عاشور: التحرير والتنوير، ج16، ص 263.

[3] أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، تعليق أبي عبد الرحمن صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط،2001 ص ص 51-52.

[4] مجدي حسين: التأويل اللغوي لمشكل القرآن، ص 427.

يعدل فيه عن الأصل لغير داع >> [1] ومن التفسيرات التي ذكرها المفسرون لتوجيه هذا التقديم والتأخير:

1.ما نقله أبو حيان من أنه: << قيل قدّم هارون هنا لأنه أكبر سنا من موسى>> [2] والظاهر أن هذا التوجيه غير مقنع، قال صاحب التوجيه اللغوي لمشكل القرآن: << قيل تقدم هارون على موسى لأنه أكبر منه سنا، وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم يلتزم بهذا في بقية المواضع >> [3]

2.قول الرازي: << إنّ فرعون ادعى الربوبية في قوله "أنا ربكم الأعلى" [النازعات/24] والإلهية في قوله "ما علمتُ لكم من إله غيري" [القصص/38] فلو أنهم قالوا آمنا برب العالمين لكان فرعون يقول: إنهم آمنوا بي لا بغيري، فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة، والدليل عليه أنهم قدموا ذكر هارون على موسى، لأن فرعون كان يدعي ربوبيته لموسى بناء على أنه رباه في قوله "ألم نربك فينا وليدا" [الشعراء/18] فالقوم لما احترزوا عن إيهامات فرعون لا جرم قدموا ذكر هارون على موسى قطعا لهذا الخيال >> [4] لكن هذا التوهم أو الاحتراز أو الخيال الذي ذكره الرازي وغيره من المفسرين قائم في آية الأعراف، ولا يرده هذا التعليل المذكور في موضع سورة "طه"، كما أن الربوبية أو الألوهية المدعاة من قِبل فرعون ليست مقتصرة على موسى عليه السلام لأنه رباه، حتى إذا قدم هارون زال التوهم من أن يكون المقصود بالرب هو فرعون، ذلك أن فرعون لما ادعى الربوبية و الألوهية، ادعاهما على الجميع كما حكى عنه تعالى قوله "أنا ربكم الأعلى" و "ما علمتُ لكم من إله غيري" فهو – فيما يدعيه- رب موسى وهارون ورب غيرهما، وعليه فإن هذا التعليل لا يبيّن حقيقة وجه هذا التقديم والتأخير في الآيتين.

3.رأي أبي حيان: << على أنه يحتمل أن يكون القولان من قائلين، نطقت طائفة بقولهم رب موسى وهارون، وطائفة بقولهم رب هارون وموسى، ولما اشتركوا في المعنى صح نسبة كل من القولين

---

[1] شهاب الدين الخفاجي: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، ج6، ص 372.

[2] أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج6، ص 322. وانظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي،ج6، ص372.

[3] مجدي حسين: التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، ص 427.

[4] الرازي: مفاتيح الغيب، ج8، ص 83. وانظر في المعنى نفسه: البحر المحيط، ج6،ص 322. وحاشية الشهاب على البيضاوي، ج6، ص 372. ومحمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص 148.

إلى الجميع. >> [1] وقد ذكر الألوسي رأي أبي حيان عند تفسيره لآية سورة "طه" واختاره، حيث قال: << وجوز أبو حيان أن يكون ما هنا قول طائفة منهم، وما هناك قول أخرى، وراعى كل نكتة فيما فعل، لكنه لما اشترك القول في المعنى صح نسبة كل منهما إلى الجميع، واختيار هذا القول هنا لأنه أوفق بآيات هذه السورة. >> [2] وأورد هذا الرأي ابن عاشور في تفسيره مضيفا إليه سبب انقسام السحرة إلى طائفتين، حيث فضلت إحداهما هرون عليه السلام لكبر سنه فقدمته، وفضلت الأخرى موسى عليه السلام لفضله بالرسالة وكلام الله، قال في تفسيره: << ويجوز أن يكون تقديم هارون في هذه الآية حكاية قول السحرة، فيكون صدر منهم قولان، قدموا في أحدهما اسم هارون اعتبارا بكبر سنه، وقدموا اسم موسى في القول الآخر اعتبارا بفضله على هارون بالرسالة وكلام الله تعالى، فاختلفت العبارتان باختلاف الاعتبارين.>> [3] ويبدو أن هذا الرأي هو الأقرب إلى الصحة، وهو محتمل الوقوع؛ أي انقسام السحرة إلى طائفتين، كل طائفة قالت قولا معينا، والقرآن الكريم لا يذكر كل ما قيل في مشهد أو حدث في موطن واحد من مواطن القصة، وإنما يفرقه في عدة مواطن حيث تتكامل الأقوال فيما بينها لتكشف عن المشهد ككل، إلا أن أصحاب هذا الرأي لم يحاولوا أن يستدلوا عليه من السياق اللغوي للآيات واكتفوا بالإمكان العقلي في عملية التوجيه، وقد تبين من خلال الشواهد المدروسة من قبل أن الاختلاف الذي يكون بين الآيات المتشابهة لفظا ينسحب على السياق السابق واللاحق فيكون مختلفا، وبالتأمل في سياق الآيات يمكن القول بأن سيدنا موسى عليه السلام لم يتبار مع جميع السحرة، بل مع أمهرهم، فقد طلب الملأ من قوم فرعون أن يأتوه بكل سحار عليم كما قال تعالى في سورة الشعراء﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧ ﴾ فلما انهزم السحرة المتبارون قالوا: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ ﴾ في موضع الأعراف وفي موضع الشعراء /47،48 وقد كان الوصف لحالة السجود بالتعبير نفسه في الموضعين بقوله تعالى: ﴿ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ ﴾ [الأعراف: ١٢٠] و ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦ ﴾ [الشعراء: ٤٦] أما موضع المخالفة في الترتيب بين موسى وهارون

---

[1] أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج6، ص 322.

[2] الألوسي: روح المعاني، ج 16، ص 720.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 16، ص 263.

عليهما السلام في سورة "طه" فقد تغير الوصف لحالة السجود بقوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾[طه:٧] وهذا التغير قد يدل على أن الطائفة الثانية من السحرة الذين هم أقل مهارة من الطائفة المتبارية أكثرُ من حيث العدد، لذلك ناسبهم الجمع "سجّدا" الذي على وزن "فُعّل" وهو أحد أوزان جموع التكسير الدالة على الكثرة، كما ناسب الطائفة الأولى الجمع "ساجدين" الذي هو جمع مذكر سالم الدال على القلة، وفي هذه المسألة الصرفية يقول فاضل صالح السامرائي:<< إن الجمع السالم بنوعيه يفيد القلة عندهم كالسنبلات والسنابل والجفنات والجفان والزيدين والزيود، فالسالم يفيد القلة والتكسير يفيد الكثرة>> [1] وليس بالضرورة أن تكون القلة هنا هي المحددة بثلاثة إلى عشرة، فقد تكون القلة النسبية كما يقول كذلك: << وقد يؤتى بجمع القلة للدلالة على قلة نسبية لا حقيقية، بمعنى أنه إذا قيس المعدود بمقابله كان قليلا، فيستعمل للأكثر جمع الكثرة، ولما دونه في الكثرة جمع القلة وإن كان كثيرا في ذاته. >> [2] وعليه يمكن أن يكون السحرة المهرة المتبارون كثيرين، لكنهم في مقابل السحرة الآخرين الحاضرين لمشاهدة التحدي يعتبرون قليلين.

إضافة إلى هذا، فإن ما قالته كل طائفة مختلف، فالطائفة المتبارية المنهزمة قالت "آمنا برب العالمين" وقد وردت هذه العبارة في آيتي "الأعراف" و"الشعراء"، إلا أنها لم ترد في كلام الطائفة الثانية في سورة "طه"، ولعل الحكمة من ذلك – والله أعلم – أن هؤلاء السحرة هم كبراء طائفتهم، فهم الأعلم بفنون السحر، لذلك يتصدرون الريادة والقدوة والتوجيه فيهم، فكان قولهم " آمنا برب العالمين " توجيها أو دعوة لأتباعهم وللحاضرين ككل إلى حقيقة الإيمان، وأن الرب هو رب العالمين الخالق لكل شيء وليس كما يدعي فرعون، فلما أدرك باقي السحرة هذا الكلام وعرفوه لم يكرروه، وإنما اتجهوا إلى التصديق والإيمان بمن أرسله رب العالمين، فقالوا " آمنا برب هارون وموسى" مخالفين في الترتيب بين النبيين للدلالة على المساواة بينهما في مسألة الإيمان بهما، لأنهما كليهما رسول من رب العالمين، ولا يجوز التفضيل بين الأنبياء في مسألة الإيمان، كما قال تعالى عن سيدنا محمد –

---

[1] فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية، دار عمار، الأردن، ط2، 2007، ص 118.

[2] المرجع نفسه: ص 124.

صلى الله وعليه وسلم – في القرآن الكريم ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ، أما ما قيل من أن طائفة فضلت هرون عليه السلام لكبر سنه، والأخرى فضلت موسى عليه السلام لاختصاصه بالرسالة وكلام الله تعالى فلم يذكر أصحابه أي دليل عليه.

وبعد كل هذا يمكن الخلوص إلى النتيجة التالية:

– إن القول بالتقديم والتأخير هنا لمجرد الفاصلة يفهم منه أن السحرة قالوا كلاما واحدا، لكن حدث في روايته تقديم وتأخير، وهو قول لا يفسر سبب التقديم والتأخير، ويجعل الفاصلة متحكمة في المعنى وهو من العيوب التي ذكرها البلاغيون إذا وجدت في كلام البشر، فما بالك إذا كان ذلك في كلام الله عز وجل !

– إن القول بتعدد القائلين مع تأمل اختلاف المقول هو الأنسب لتوجيه هذا الموضع من المتشابه اللفظي، وبالتالي مكن من البحث في السياق والمعنى، وبين كيف جاءت كل فاصلة متوافقة في موضعها مع الآيات إيقاعا ونغما منسجمة معنى مع ما قبلها.

– كما تبين أيضا كيف تسهم باقي الدلالات – كالدلالة الصرفية في هذا الموضع – في الوصول إلى تعدد القائل وتعليل اختلاف المقول، وبالتالي تفسير سبب التقديم والتأخير.

ثانيا: إبدال فاصلة " منقعر " بـ " خاوية "

قال تعالى: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القمر: ٢٠]

وقال كذلك: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٧]

وقف المفسرون عند هذين الموضعين مقارنين بينهما محاولين توجيه اختلاف وصف النخل مرة بـ "منقعر" وأخرى بـ " خاوية " حيث جاء في الأولى مذكرا، وفي الثانية مؤنثا. ولفظ النخل مما يجوز تذكيره وتأنيثه، باعتباره اسم جنس جمعيا، قال عباس حسن: << هذا النوع الذي يفرق بينه وبين واحده بالتاء المربوطة إذا وصف وكذلك إن أخبر عنه، أو عاد عليه ضمير، أو إشارة.. جاز في

صفته: إما الإفراد مع التذكير على اعتبار اللفظ، لأنه جنس، أو مع التأنيث على تأويل معنى الجماعة: نحو قوله تعالى:"أعجاز نخل منقعر" و"أعجاز نخل خاوية" وإما جمع الصفة جمع تكسير أو جمع مؤنث سالما نحو قوله تعالى: "السحاب الثقال" وقوله "والنخل باسقات" >> [1] وقد ذكر الرازي هذه المسألة في تفسيره، حيث قال: << النخل لفظه لفظ الواحد كالبقل والنمل ومعناه معنى الجمع، فيجوز أن يقال فيه نخل منقعر ومنقعرة ومنقعرات، ونخل خاوٍ وخاوية وخاويات، ونخل باسق وباسقة وباسقات، فإذا قال قائل منقعر أو خاوٍ أو باسق جرّد النظر إلى اللفظ، ولم يراع جانب المعنى، وإذا قال منقعرات أو خاويات أو باسقات جرّد النظر إلى المعنى ولم يراع جانب اللفظ، وإذا قال منقعرة أو خاوية أو باسقة جمع بين الاعتبارين من حيث وحدة اللفظ >> [2]، وبما أن المسألة مسألة جواز لغوي فقد ذكر بعض المفسرين أن اختيار التذكير هنا والتأنيث هناك، إنما هو من باب رعاية الفواصل، من ذلك ما قاله الرازي قبل كلامه السابق: << قال هاهنا "منقعر" فذكر النخل، وقال في الحاقة "كأنهم أعجاز نخل خاوية" فأنثها قال المفسرون: في تلك السورة كانت أواخر الآيات تقتضي ذلك لقوله "مستمر" "منهمر" وهو جواب حسن، فإن الكلام كما يزيّن بحسن المعنى يزيّن بحسن اللفظ >> [3] وإلى مثل هذا ذهب أبو حيان، حيث قال: << والنخل اسم جنس يذكّر ويؤنث، وإنما ذكّر هنا لمناسبة الفواصل، وأنث في قوله " أعجاز نخل خاوية" في الحاقة لمناسبة الفواصل أيضا >>. [4]

هذا، وقد وقف المفسرون على المعنى المعجمي للفاصلتين، فقال ابن عاشور: << والأعجاز جمع عَجُز، وهو أسفل الشيء، وشاع إطلاق العجز على آخر الشيء، يعتبرون الأجسام منتصبة على الأرض، فأولاها ما كان إلى السماء، وآخرها ما يلي الأرض، وأطلقت الأعجاز هنا على أصول النخل لأن أصل الشجرة هو آخرها مما يلي الأرض >> [5] وقال الألوسي: << "كأنهم أعجاز نخل منقعر" أي منقلع عن مغارسه ساقط على الأرض، وقيل شبهوا بأعجاز النخل، وهي أصولها بلا

---

[1] عباس حسن: النحو الوافي، آوند دانش للطباعة والنشر، طهران، ط1، 2004، ج1، ص 22.

[2] الرازي: مفاتيح الغيب، ج 10، ص 46.

[3] المصدر السابق: الصفحة نفسها.

[4] أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج8، ص 255. وانظر الألوسي: روح المعاني، ج27، ص 123.

[5] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج27، ص 186.

فروع، لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقي أجسادا وجثثا بلا رؤوس، ويزيد هذا التشبيه حسنا أنهم كانوا ذوي جثث عظام طوال >> [1] وذكر ابن عاشور معنى آخر لكلمة "منقعر" حيث قال:<< منقعر اسم فاعل انقعر مطاوع قعره، أي قعره بالحفر، يقال: قعر البئر إذا انتهى إلى عمقها، أي كأنهم أعجاز نخل قعرت دواخلها، وذلك يحصل لعود النخل إذا طال مكثه مطروحا... ووجه الوصف ب"منقعر" الإشارة إلى الريح صرعتهم صرعا تفلقت منه بطونهم وتطايرت أمعاؤهم وأفئدتهم فصاروا جثثا فرغا، وهذا تفظيع لحالهم ومثلة لهم لتخويف من يراهم >>، [2] وهذا المعنى الذي ذكره يتناسب مع الموضع الثاني في سورة الحاقة، قال الشوكاني (ت1255هـ : <<"كأنهم أعجاز نخل خاوية" أي أصول نخل ساقطة أو بالية، وقيل خاوية لا جوف فيها >> [3] وقال عبد الرحمن حسن حبنكة عن الآية نفسها: << أي كأنهم أصول نخل فارغة شبهوا بها لتصوير حالة بطونهم التي بقرت وخرج ما فيها فصارت خاوية >>. [4] وعلى الرغم من هذا الوقوف على المعنى المعجمي للفظتي " منقعر " و "خاوية " للوصول إلى حقيقة الصورة التشبيهية، إلا أنه لم يُتوَقف عند سرّ اختيار هذه اللفظة في هذا الموضع دون الأخرى، ومدى مناسبتها لموضعها، بحيث لا يمكن وضع فاصلة "منقعر" مكان فاصلة "خاوية" دون أن يختل المعنى، إذا استثنيت المناسبة الصوتية، أي مناسبتها للفواصل السابقة واللاحقة، فقد تبيّن من خلال الدلالة المعجمية أن القرآن الكريم يستعمل اللفظ في موضعه المناسب بحيث لا يقبل استبداله بلفظ آخر دون أن يؤثر ذلك على المعنى المراد. وقد حاول بعض المعاصرين أن يبيّن سر هذا الاختيار، فبعد أن ذكر الرعاية للفاصلة في الموضعين، قال عن موضع آية الحاقة: << فإن وصف (النخل) بأنها (خاوية) بمعنى ساقطة مناسب لما قبلها في المعنى، إذ جاء قبلها "فترى القوم فيها صرعى" أي مطروحين ألقت بهم الريح العاتية كما ألقت بأركان بيوت القرية في قوله تعالى:﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴿٢٥٩﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٩] أما وصف النخل بأنه منقعر – بمعنى منقلع من مكانه – فإنه مناسب لما قبله، إذ وصفت

---

(1) الألوسي: روح المعاني، الصفحة نفسها.

(2) محمد الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ص ص 186-187.

(3) محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير، ت سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2007، ج5، ص 334.

(4) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: معارج التفكر ودقائق التدبر، ج14، ص 653.

الريح بأنها "تنزع الناس" تقلعهم من أماكنهم وترفعهم إلى علو ثم ترمي بهم على الأرض، ولهذا ناسب أن يأتي بعد هذا وصف النخل بأنه منقعر >> [1] وقد علق في الموضع نفسه على كل آية بقوله: << ولهذا فإن الفاصلة متمكنة في موضعها معنى ولفظا، ومناسبة للسياق ورؤوس الآي في السورة>>. [2] وعلى الرغم من هذا الشرح الذي اتُّبع فيه النظر إلى سياق الآيتين، والذي تبين أنه سياق مختلف، وعليه يختص كل واحد منهما بمناسبة فاصلته، إلا أنه لم يُبَيَّن لدى المفسرين لماذا قال منقعر ولم يقل منقعرة أو منقعرات، ولماذا قال خاوية ولم يقل خاوٍ أو خاويات، مادامت المسألة مما يحتمله الاستعمال اللغوي؟ وهل يمكن اختيار وجه آخر دون أن يؤثر ذلك على المعنى، إذا تم استثناء المناسبة الصوتية أو مراعاة الفاصلة؟

لعل النظر إلى الصورة التشبيهية هو الذي يبيّن سرّ هذا الاختيار، أي وصف النخل بـ "منقعر" تارة، و بـ " خاوية " تارة أخرى. إن محمد محيي الدين درويش يرى أن الصورة واحدة حيث يقول : <<فإن التشبيه في الآيتين واحد، إذ هما حديث عن قوم عاد بعدما أهلكهم الله بالريح الشديدة، شبهوا وهم قتلى مرة بأعجاز النخل الخاوية ومرة بأعجاز النخل المنقعر >>، [3] إلا أن الرازي أشار إلى حالتين مختلفتين فقال: << نزعتهم فهم بعد النزع كأنهم أعجاز نخل منقعر، وهذا أقرب لأن الانقعار قبل الوقوع، فكأن الريح تنزع الواحد وتقعره فينقعر فيقع فيكون صريعا فيخلو الموضع عنه فيخوى، وقوله في الحاقة " فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية " إشارة إلى حالة بعد الانقعار الذي هو بعد النزع، وهذا يفيد أن الحكاية ههنا مختصرة [أي موضع آية القمر]، حيث لم يشر إلى صرعهم وخلو منازلهم بالكلية فإن حال الانقعار لا يحصل الخلو التام، إذ هو مثل الشروع في الخروج والأخذ فيه >> [4] وعليه، فإن حالة الانقعار تشير إلى قلعهم من الأرض ورفعهم إلى أعلى، وهذا يشكل صورة خاصة للرائي، أما حالة الخواء فتشير إلى طرحهم وإلقائهم على الأرض، وهذا يشكل للرائي صورة أخرى مخالفة للصورة السابقة، وقد ذكر صاحب "معارج

---

[1] محمد صادق درويش: إعجاز القرآن الكريم، ص 628.

[2] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[3] المرجع السابق: ص 627.

[4] الرازي: مفاتيح الغيب، ج 10، ص 46.

التفكر ودقائق التدبر" ما يجمع هاتين الصورتين دون الإشارة إلى اختصاص كل تشبيه بصورة خاصة، حيث قال في تفسيره لآية القمر: << "كأنهم أعجاز نخل منقعر" فيكونون بعد انتزاعهم ورفعهم وطرحهم وإهلاكهم وتناثرهم صرعى كالنخل إذا قلعت من جذورها وطرحت أرضا>>، [1] فهو يجمع في حالة الانقعار الصورتين معا. ولعل الأولى الأخذ بتصور الرازي لحالة الانقعار وتخيل النخل في حالة قلعه ورفعه من على الأرض، أما ما ذكره عن معنى "خاوية" وتخصيصها بخلو المواضع أو المنازل، فيمكن الاستغناء عنه، إذ جلّ المفسرين قصروا هذ الوصف على أعجاز النخل وهي ملقاة على الأرض، قال الشوكاني: << أي أصول نخل ساقطة أو بالية، وقيل خالية لا جوف فيها>>. [2] كما أن خواء جوفها لا يرى إلا إذا كانوا مُلْقَيْنَ على الأرض.

وإذ تبين أن التشبيه تشبيهان، كل واحد يختص بتصوير القوم في حالة مختلفة عن الأخرى، يبقى البحث عن سرّ اختيار صفة منقعر بالتذكير في آية القمر، وخاوية بالتأنيث في آية الحاقة. إن النخل وهي قائمة تبدو جذوعها للناظر جد متقاربة يكاد بعضها يلامس بعضا، فهي تكاد تشبه الحزمة من الأعواد، عندما يحملها الإنسان في يده تبدو وكأنها عود واحد لا عدة أعواد، وعليه – والله أعلم – فإن حال الانقعار أي القلع من على الأرض والرفع إلى السماء تكون على هذا المنظر من التقارب فيما بينها والتداخل، حيث لا تظهر كثرتها، لذلك ناسب وصف النخل بالإفراد "منقعر" ولا يصلح الوصف بـ "منقعرات" لدلالته على القلة، وهم ليسوا كذلك، وفي معنى القلة هذا يقول ابن السراج (ت 316 هـ) في باب ما يكون من بنات الثلاثة واحدا يقع على الجميع: << ويكون واحد على بنائه من لفظه إلا أنه (مؤنث) تلحقه الهاء للفاصل، وهذا باب حقه أن يكون لأجناس المخلوقات، وهي تجيء على سبعة أبنية: الأول فَعْلة: نحو طلحة وطلح، وتمرة وتمر، ونخلة ونخل، وصخرة وصخر، وإذا أردت القليل جمعت بالتاء >>، [3] كما لا يصلح الوصف بـ "منقعرة" بالتأنيث لأن ذلك يناسب الكثرة، وهم لا يبدون كذلك على تلك الصورة، وهذا على خلاف التشبيه في آية الحاقة

---

[1] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: معارج التفكر ودقائق التدبر، ج3، ص 376.

[2] الشوكاني: فتح القدير، ج5، ص 334. وانظر أبا حيان: البحر المحيط، ج8، ص 452، والألوسي:روح المعاني، ج29، ص 67.

[3] أبو بكر محمد بن سهل بن السرّاج: أصول النحو، ت عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1999، ج2، ص 442.

الذي يصفهم وهم ملقون على الأرض متفرقين عن بعضهم بعدما كانوا يبدون مجتمعين، ولا شك أن الحزمة من العيدان إذا ألقي بها على الأرض تفرقت وظهرت كثرتها، وكذلك القوم لما ألقي بهم، وهذه الكثرة لا يناسبها وصف النخل بالإفراد والتذكير أي "خاوٍ" ولا بالجمع المؤنث السالم، أي "خاويات" لدلالته على القلة، فلم يبق إلا الوصف بالإفراد والتأنيث " خاوية" لأنه الأنسب لهذه الكثرة، وفي مثل هذه المسألة يقول فاضل صالح السامرائي عند بيانه لسر قوله تعالى "أياما معدودة (البقرة/80) و " أياما معدودات " (آل عمران 24): << وإيضاح ذلك أن المفرد المؤنث إذا وقع صفة للجمع دل على أن الموصوف أكثر منه إذا كانت صفته جمعا مؤنثا سالما، فإنك إذا قلت: (في بلدنا جبال شاهقة) دل على أن عندكم جبالا كثيرة، بخلاف ما إذا قلت: (في بلدنا جبال شاهقات) فإنه يدل على القلة... وعلى هذا فالأيام المعدودة أكثر من الأيام المعدودات، وسبب ذلك أن المقامين مختلفان >>. [1]

وبعد كل هذا، يمكن القول إن القرآن الكريم لما استعمل هاتين الفاصلتين، استعمل كل واحدة في مكانها المناسب، فأدت دلالتها الإيقاعية، فناسبت رؤوس الآيات السابقة واللاحقة، كما جاءت مناسبة في الدلالة والمعنى للسياق الذي وردت فيه، بحيث لا يمكن إبدال إحداهما بالأخرى، فلفظة "منقعر" بمعناها المعجمي وتذكيرها وإفرادها وإيقاعها، كل ذلك أسهم في بيان اختصاصها بصورتها التشبيهية، وكذلك لفظة "خاوية" بمعناها المعجمي وتأنيثها وإفرادها وإيقاعها، توحي بأن صورتها التشبيهية مختلفة عن الصورة الأخرى. فالدلالات كلها؛ الإيقاعية والمعجمية والنحوية تضافرت فيما بينها لبيان اختلاف المشهد أو الحالة التي كان عليها القوم، فالآيتان لا تتحدثان عن حالة واحدة، ثم خولف بين الفاصلتين لمجرد مراعاة الفاصلة، لأن الاكتفاء بهذا القول لا يجيب عن التساؤلات التي يطرحها العقل، وهي: لماذا حدث هذا التغيير؟ وهل يمكن وضع هذه مكان تلك دون أن يحدث أي خلل في الأسلوب القرآني؟ ولا يستطيع أحد أن يقول بإمكانية ذلك.

---

[1] فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، الأردن، ط5، 2007، ص 41.

الفصل الثالث

دلالات المتشابه اللفظي في قصة آدم/ع

- المثال الأول: (آية الحجر28) (آية ص 71)
- المثال الثاني: (آية البقرة 35) (آية الأعراف 19)
- المثال الثالث: (آية الأعراف 12) (آية الحجر 32) (آية ص75)
- المثال الرابع: (آية الحجر 35) (آية ص78)
- المثال الخامس:آيات (الأعراف 14–15) (ص79–80) (الحجر 36–37)
- المثال السادس: (آية البقرة 38) (آية طه 123)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن هذا الفصل هو الجانب التطبيقي لتلك الدلالات على قصة سيدنا آدم عليه السلام، يرصد مواطن الآيات المتشابهة لفظا ليقف على توجيه تلك الاختلافات، ليكشف عما يمكن أن تدل عليه من دلالات مختلفة؛ من معجمية أو نحوية أو غيرهما، وقد يقتضي ضبط الأمثلة ذكر أكثر من آية متشابهة في المثال الواحد لورودها متتالية في موضعها من السور التي وردت فيها.

وقبل البدء في عملية التحليل والشرح تحسن الإشارة إلى مواطن ورود هذه القصة في القرآن الكريم، يقول عبد الكريم الخطيب: << عرض القرآن هذه القصة في سبعة معارض في سبع سور هي: البقرة والأعراف والحجر والإسراء والكهف وطه وص، وهي في هذه المعارض على درجات متفاوتة في الطول والقصر >> [1]

وآياتها في تلك السور هي:

- البقرة 30 - 39
- الأعراف 14 – 25
- الحجر 26 – 42
- الإسراء 61 – 65
- الكهف 50
- طه 116 – 123
- ص 71 – 85

[1] عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ص 355.

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحجر: ٢٨]

وقال كذلك: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ [ص: ٧١]

يختلف هذا الموضعان في حديثهما عن المادة التي خلق منها سيدنا آدم – عليه السلام – بحيث أشارت الآية الأولى إلى أن البشر خلق من صلصال من حمإ مسنون، والثانية إلى خلقه من طين، وقد فسّر العلماء معنى الصلصال والحمأ المسنون، قال ابن عاشور:<< الصلصال الطين الذي يترك حتى ييبس، فإذا يبس فهو صلصال، وهو شبه الفخار، إلا أن الفخار هو ما يبس بالطبخ بالنار، قال تعالى: "خلق الإنسان من صلصال كالفخار" [الرحمن/14] >> [1] وسمّي بذلك لأنه << يصلّ أي يصوّت من يبسه إذا ضربه شيء ما دام لم تمسه النار، فإذا أمسته النار فهو حينئذ فخار، وأصل الصليل والصلصلة واحد، والفرق بينهما أنك إذا توهمت في الصوت مدا فهو الصليل، وإذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة >> [2] أما الحمأ فهو << الطين إذا اسودّ وكرهت رائحته >> [3] أما المسنون فقد اختلف في تفسيرها فـ << قيل المصوّر من سنة الوجه وهي صورته، وقيل المسنون المصبوب المفرغ، أي أُفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في أمثلتها، وقيل المسنون المنتن، وقال بعض العلماء الأملس >>. [4]

ولم يقف عند هاتين الآيتين كل من الخطيب الإسكافي وابن الزبير الغرناطي ما عدا الكرماني الذي قال موضع آية الحجر: << قوله " وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا >>هنا وفي "ص" [أي الآية 71] وفي البقرة [الآية 30]" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل " ولا ثالث لهما >> [5] والمفهوم من هذا الكلام أنه يجعل آيتي الحجر وص اللتان تتحدثان عن مادة خلق سيدنا آدم بمنزلة الآية

---

(1) ابن عاشور:التحرير والتنوير، ج14، ص 41.

(2) محمد بن محمد المختار الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج3، ص 97.

(3) محمد الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج14، ص 42.

(4) محمد بن محمد المختار الشنقيطي: المرجع السابق، ج3، ص ص 97-98.

(5) البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص 107.

الواحدة، ثم يجعلهما في مقابل آية البقرة، والظاهر أن موضوع آية البقرة مختلف تماما عن الآيتين، لأنه يتحدث عن الخليفة الذي سيجعله الله في الأرض، وعليه فلا مجال لجعل ذلك من المتشابه اللفظي، وكان من الأجدر أن يجعل آيتي الخلق موضوع دراسته أو مقارنته، ولماذا اختلف الحديث عن مادة خلق البشر في الموضعين، قال ابن عاشور في موضع آية الحجر: << وفيه إشارة إلى الأطوار التي مرت على مادة خلق الإنسان >> [1] إلا أن عبد الكريم الخطيب يشرح هذه المسألة أكثر، حيث علق على آية ص عندما أوردها في موضع آية الحجر: << وهذا يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد لفت الملائكة أول الأمر إلى المرحلة الأولى من مراحل هذا الخلق الذي سيخرج من هذا الكائن البشري، وأن أول هذه المراحل هي الطين، وقد أخذ الملائكة منذ هذه اللفتة يرقبون هذا الطين، ويلحظون مسيرته في خط الحياة، ثم حين انتقل الطين إلى مرحلة أخرى، هي مرحلة الصلصال والحمأ المسنون لفت سبحانه وتعالى الملائكة مرة أخرى إلى هذا التغير الذي حدث للطين، والذي بدا يأخذ طريقه متحركا نحو الغاية المؤدية إلى ظهور هذا الإنسان >> [2] والظاهر من هذا الكلام إن إخبار الله الملائكة بمادة خلقه للبشر كان على مراحل، أما علاقة ذلك بما جاء بعده مباشرة من أحداث في الموضعين فيقول فيه جواد عفانة: << وإذا كنا لا نستطيع أن نجزم ما إذا كان خلق آدم من طين، ثم من صلصال قد تمّ في مشهد واحد، أم في فترات زمنية متعاقبة لإبهامه عنا، إلا أننا نستطيع أن نجزم بأن تسوية آدم والنفخ فيه من روح الله في جسده، ومباشرة سجود الملائكة لآدم (بعد انتصابه حيا أمامهم) تنفيذا لأمر الله تعالى لهم بالسجود، وفسق إبليس، أن كل تلك الأحداث وقعت في مشهد واحد لم يستغرق من الوقت طويلا، ذلك أن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون >>. [3] وإذا كانت مسألة خلق الإنسان يحتمل أن تكون قد تمت على مراحل، فلا مانع أن يذكر الله – عز وجل – للملائكة في كل مرة مرحلة من المراحل التي سيمر بها خلق هذا البشر، وفي كل مرة يذكرهم بما يجب أن يقوموا به عندما يكتمل خلقه من ضرورة السجود له، وعليه فإنه لما اختلف المقول، كان دالا على اختلاف المقام الذي قيل فيه.

---

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج14، ص 42.

(2) عبد الكريم الخطيب:التفسير القرآني للقرآن، ج13، ص 234.

(3) جواد موسى محمد عفانة: آدم الإنسان (أبو البشر)، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط3، 2008، ص269.

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥]

وقال كذلك: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩]

كان هذا الموطن من المتشابه اللفظي من المواطن التي لقيت عناية كبيرة سواء من علماء المتشابه اللفظي، أم من غيرهم من المفسرين، حيث أشاروا إلى كل الاختلافات بين الآيتين، ووقفوا على ما يمكن أن تدل عليه من معان، فذكروا العطف بالواو وبالفاء في الفعل "كلا" وزيادة " رغدا " وتجرد حرف الجر "من" من الضمير "ها" ودخوله مباشرة على الظرف "حيث" واختلاف دلالة "اسكن" في الموضعين، إضافة إلى اختلاف استهلال الآيتين بزيادة "قلنا" في آية البقرة.

لذلك يحسن الوقوف عند هذه المواطن موطنا موطنا.

- دلالة الفعل " اسكن ":

ذكر الخطيب الإسكافي معنيين للفعل " اسكن" فقال: << أن " اسكن " يقال لمن دخل مكانا فيراد به: الزم المكان الذي دخلته ولا تنتقل منه، ويقال أيضا لمن لم يدخله اسكن هذا المكان، يعني ادخله واسكنه، كما تقول لمن تعرض عليه دارا ينزلها سكنى فتقول: اسكن هذه الدار فاصنع فيها ما شئت من الصناعات، معناه، ادخلها ساكنا لها فافعل فيها كذا وكذا>>[1]وقد جعل المعنى الثاني خاصا بآية الأعراف دون آية البقرة، فقال: << فالحمل على هذا المعنى في هذه الآية أولى، لأنه – عز من قائل وجل – قال لإبليس " اخرج منها مذءوما مدحورا" [الأعراف 18] فكأنه قال لآدم: اسكن أنت وزوجك الجنةّ، أي ادخل، فيقال: اسكن يعني ادخل ساكنا ليوافق الدخول الخروج، ويكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول والآخر بعده >>[2]

---

(1) الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ج1، ص ص 223-224.

(2) المصدر نفسه: ج1، ص 224.

وقال الكرماني:<< والذي في الأعراف من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع سكنا، لأن الله تعالى أخرج إبليس من الجنة بقوله:<< اخرج منها مذءوما" وخاطب آدم فقال:"ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة" أي اتخذاها لأنفسكما مسكنا >> [1] ولا شك أن أن اتخاذها مسكنا لا يكون إلا بعد الدخول، وبالتالي يتوافق هذا مع ما ذكره الخطيب عندما قال ادخله واسكنه.

وقد شاع ما ذكره الخطيب عند العلماء بعده، ففي معنى "اسكن"يقول الباحث محمد بن علي الصامل: << فقد ذكر جمهرة من أهل العلم – رحمهم الله – أن السكنى في آية البقرة بمعنى الإقامة، وأما السكنى في آية الأعراف فمعناها الدخول >> [2] أما مسألة اختلاف المقامين، فقد ذكرها الكرماني عازيا لها إلى الخطيب فقال: << وذهب الخطيب إلى أن ما في الأعراف خطاب لهما قبل الدخول وما في البقرة بعده >> [3]

*العطف بالواو وبالفاء في الفعل "كلا "

لا شك أن اختلاف المقام يؤدي إلى اختلاف الكلام الذي قيل فيه، لكن يبقى فقط البحث عن سرّ مناسبة كل قول أو تعبير للسياق أو المقام الذي ورد فيه، وقد وقف العلماء على اختلاف عطف الأكل بالواو أو بالفاء على الفعل " اسكن " مع مراعاة اختلاف معناه في الموضعين. ولكن قبل التعرض لذلك تحسن الإشارة إلى ما قاله بعض النحاة عن دلالة العطف بالواو أو بالفاء؛ فأما الواو فقال عنها صاحب مغني اللبيب: << معناها مطلق الجمع، فتعطف الشيء على مصاحبه نحو "فأنجيناه وأصحاب السفينة" [العنكبوت/ 15] وعلى سابقه " ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم" [الحديد/ 26] وعلى لاحقه نحو "كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك " [الشورى/ 3] >> [4] ولعل خير ما يشرح معنى " مطلق الجمع " ما جاء في شرح جمل الزجاجي: << فأما الواو فللجمع بين الشيئين من غير ترتيب ولا مهلة، فإذا قلت قام زيد وعمرو، احتمل الكلام ثلاثة معان، أعني أن يكون زيد

---

[1] الكرماني: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 26.

[2] محمد بن علي الصامل: من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن، ص 148.

[3] الكرماني: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 27.

[4] ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط2، 1997، ج1، ص569.

قام قبل عمرو، أو عمرو قام قبل زيد بمهلة أو غير مهلة، وأن يكونا قاما معا >> [1] وهذا على خلاف الفاء التي قال عنها ابن هشام: << وأما الفاء فللترتيب والتعقيب نحو: "أماته فأقبره" [عبس/ 21] وكثيرا ما تقتضي التسبب إن كان المعطوف جملة نحو "فوكزه موسى فقضى عليه" [القصص/ 15]>> [2]

وقد ذكر الخطيب الإسكافي اختلاف العطف بالواو أو بالفاء في الآيتين موضوع الدراسة، فقال: << والأصل في ذلك أن كل فعل عطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتداء، وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء، فالأصل فيه عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو >> [3] وقد أشار صاحب مغني اللبيب إلى ما يشبه هذه القاعدة النحوية فقال: <<كما تربط الفاء الجواب بشرطه، كلك تربط شبه الجواب بشبه الشرط، وذلك في نحو " الذي يأتيني فله درهم" وبدخولها فهم ما أراده المتكلم من ترتب لزوم الدرهم على الإتيان، ولو لم تدخل احتمل ذلك وغيره >>. [4] ومعنى كلام الخطيب أنه إذا كانت علاقة الاسم المعطوف بالاسم الذي قبله تشبه علاقة جواب الشرط بشرطه، بحيث يتوقف وجوده عليه، وجب العطف بالفاء التي تقتضي الترتيب، وإلا كان العطف بالواو، ولما كان العطف في آية البقرة بالواو، فقد أسقط عليها تفسيره لآية الأعراف التي تشبهها في مسألة العطف هذه، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦١]

فقال: << فعطف "كلوا" على قوله "اسكنوا" بالواو دون الفاء، لأن "اسكنوا" من السكنى، وهي المقام مع طول اللبث، والأكل لا يختص وجوده بوجوده [أي المقام] لأن من يدخل بستانا قد يأكل منه وإن كان مجتازا، فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجواب بالابتداء وجب العطف بالواو دون الفاء، وعلى هذا قوله تعالى في الآية التي بدأت بذكرها" وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا

---

[1] ابن عصفور الإشبيلي: شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، ج1، 93.

[2] ابن هشام الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ص 148.

[3] الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ج1، ص 222.

[4] ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب، ج1، ص 278.

منها رغدا حيث شئتما" >> [1] فالعطف بالواو هنا مرتبط بدلالة الفعل "اسكن" على السكنى والإقامة، فلا يمكن أن يتعلق به تعلق الجواب بشرطه، بحيث لا يتحقق الثاني إلا بتحقق الأول، وقد عبر الكرماني عن هذا المعنى بتعبير أوضح فقال: << وإنما الذي في البقرة سكون بمعنى الإقامة، فلم يصح إلا بالواو، لأن المعنى اجمعا بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها، ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة، لأن الفاء للتعقيب والترتيب.>> [2] ولا يمكن تصور وقوع الأكل بعد الفراغ من الإقامة التي قد تطول إلى مدة لا يمكن الصبر فيها على ترك الأكل، لذلك لم يصلح هنا إلا العطف بالواو، على خلاف موضع الأعراف، حيث كان العطف بالفاء هو الأنسب لتغير معنى الفعل "اسكن" إلى معنى "ادخل" أو اتّخِذ الموضع مسكنا، قال الكرماني: <<وكان الفاء أولى لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمانا ممتدا، ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه، بل يقع الأكل عقيبه >> [3] أما زكريا الأنصاري فقال: << وفي الأعراف معناه "ادخل" لكونهما خارجين عنها، والأكل لا يكون مع الدخول عادة بل عقبه، فلهذا عطف بالفاء الدالة على التعقيب. >>. [4] من خلال هذا العرض تبين كيف يستعمل القرآن كل حرف في موضعه المناسب الذي لا ينوب عنه فيه حرف آخر، وكيف جاء كل تعبير مناسبا لسياقه الخاص، وكيف أن اختلاف السياق أو المقام يؤدي حتما إلى اختلاف التعبير والمعنى المراد.

- "حيث شئتما" " من حيث شئتما"

وقف ابن الزبير الغرناطي عند التعبيرين محاولا بيان الفرق بينهما بسبب دخول حرف الجر على الظرف "حيث" فقال: << وقد وقع في سورة البقرة "حيث شئتما" وتلك توسعة في الأماكن، قلت ليس موقع "حيث شئتما" موقع "من حيث شئتما" لأن "من حيث شئتما" يحرز ويعطي إباحة الأكل من ثمر كل موضع فيها، أما "حيث" إذا لم يكن معها "من" فإنها تعطي بأظهر الاحتمالين

---

[1] الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ج1، ص 223.

[2] الكرماني: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 26.

[3] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[4] زكريا الأنصاري:كتاب فتح الرحمن بكشف ما يُلتبس في القرآن، ص 10.

إباحة الأكل في كل موضع لا من ثمر كل موضع >>، [1] والذي يفهم من هذا الكلام أن التوسعة على سيدنا آدم وزوجه كانت في الأعراف أكثر منها في آية البقرة على الرغم من أنه –كما تم ذكره من قبل– أن آية الأعراف كانت قبل الدخول إلى الجنة، وأن آية البقرة كانت بعد الدخول. هذا، وقد ذكر بعض المعاصرين أن سياق قصة سيدنا آدم عليه السلام، في البقرة هو سياق تكريم على خلاف سياق الأعراف، حيث يقول: << أقول – والله أعلم – إن آية البقرة جاءت في سياق إخبار الرسول – صلى الله عليه وسلم – وإعلامه ببيان فضل آدم عليه السلام، وجعله خليفة في الأرض، وتعليم الله له الأسماء كلها وأمر الله بالسجود له، واستكبار إبليس عن ذلك، ففي السياق جاء نداء آدم عليه السلام مسبوقا بإسناد القول إلى الله سبحانه، وهذا فيه تكريم لآدم عليه السلام، موافق لموضوع الآيات.>> [2] ولعل الفهم الذي ذكره صاحب الكشاف هو الأنسب لهذا السياق، حيث قال في تفسيره لآية البقرة: << "حيث" للمكان المبهم، أي مكان من الجنة "شئتما" أطلق لهما الأكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة، حيث لم يحظر عليهما بعض الأكل، ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين أشجارها الفائقة للحصر. >> [3] ويبدو أن هذا الفهم أوسع، إذ يبيح الأكل من أي ثمر في أي موضع ما عدا تلك الشجرة على خلاف ما قرره ابن الزبير الذي لا يبيح كل الثمار في أي موضع كما يفهم من عبارته السابقة << إباحة الأكل في كل موضع لا من ثمر كل موضع >> ولعل ما جعل ابن الزبير يقرر هذا المعنى هو تركيزه على الظرف "حيث" ودخول حرف الجر عليه أو تجرده منه، ولم ينظر إلى السياق السابق أو اللاحق، لأن ذلك كله قد يسهم في بيان المعنى المراد، وهذا على خلاف ما قام به الزمخشري الذي يفهم من قوله السابق "أطلق لهما الأكل من الجنة" أنه راعى السياق السابق وهو قوله تعالى "وكلا منها" الذي اقترن به حرف الجر "من" بالضمير المتصل "ها" الذي يعود على الجنة، وهو مما اختلف فيه موطن آية البقرة عن آية الأعراف، يقول فاضل السامرائي: << فقد أعاد ضمير الجنة في البقرة مع الأكل فقال: (منها) ولم

---

(1) ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ج1، ص 189.

(2) محمد بن علي الصامل: من بلاغة المتشابه اللفظي، ص 145.

(3) الزمخشري: الكشاف، ص 72.

يعده في الأعراف، فأنت ترى أنه ذكر الجنة وضميرها في البقرة، وهو المناسب لمقام التكريم فيها ولم يفعل مثل ذلك في الأعراف. >> [1] هذا، ومن أوجه الاختلاف بين التعبيرين " حيث شئتما" و"من حيث شئتما" ما قاله أيضا السامرائي: << الظرف "حيث شئتما" في البقرة يحتمل أن يكون للسكن والأكل جميعا، والمعنى: (اسكنا حيث شئتما وكلا حيث شئتما) فالسكن حيث يشاءان والأكل حيث يشاءان، أما التعبير في الأعراف فلا يحتمل إلا أن يكون للأكل (فكلا من حيث شئتما)، ولا يصح تعليقه بالسكن، فلا يصح أن يقال: (اسكنا من حيث شئتما) فالمشيئة والتخيير في البقرة أوسع لأنها تشمل السكن والأكل بخلاف الأعراف، وهو المناسب لمقام التكريم في البقرة كما هو ظاهر. >> [2] وهو معنى دقيق يجعل موطن البقرة فيه من التوسعة أكثر مما هو عليه الأمر في آية الأعراف.

- زيادة "قلنا" و" رغدا":

وكان قوله تعالى " وقلنا" و"رغدا" مما جاء زائدا في آية البقرة دون آية الأعراف، وفي معنى "رغدا" يقول أبو حيان: << يقال رغد عيش القوم، ورغد بكسر الغين وضمها، إذا كانوا في رزق واسع كثير، وأرغد القوم أخصبوا وصاروا في رغد من العيش >>. [3] وقد تعرض لهذه الزيادة الكرماني بإيجاز شديد، فقال: << وزاد في البقرة "رغدا" لما زاد في الخبر تعظيما بقوله "وقلنا" >>. [4] والظاهر من كلام الكرماني أنه يفرق بين السياقين في السورتين، فسياق البقرة فيه التعظيم لإسناد ضمير المتكلمين "نا" إلى فعل القول، على خلاف آية الأعراف التي تجردت منه، هذا، وقد تمت الإشارة من قبل إلى أن سياق آية البقرة هو سياق تكريم لسيدنا آدم عليه السلام، فجاءت كل الألفاظ لتؤصل هذا المعنى، يقول محمد بن علي الصامل: << إن سياق آية البقرة كان في الحديث عما منّ الله به على آدم وفضّله، فورود كلمة الرغد في هذا السياق يضيف إلى فضل آدم عليه

---

[1] فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص 291.

[2] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[3] أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج1، ص 229.

[4] الكرماني: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 27.

السلام تميزا، فتكون هذه نعمة أخرى تضاف إلى تلك النعم >> [1] أما عن زيادة جملة "وقلنا" فيقول: << ففي السياق جاء نداء آدم عليه السلام مسبوقا بإسناد القول إلى الله سبحانه، وهذا فيه تكريم لآدم عليه السلام، موافق لموضوع الآيات كلها >>، [2] ولا شك أن هذا كله يتناسب مع المقام الذي قيل فيه هذا الكلام، وهو كون سيدنا آدم كان داخل الجنة، فزاده الله كرما، بخلاف سياق آية الأعراف الذي كان فيه آدم خارج الجنة قبل دخولها، وما يتميز به هذا السياق ما قاله السامرائي فيه لما قارن بينه وبين سياق البقرة: << أما من حيث السياق فإن القصة وقعت في الأعراف في سياق العقوبات وإهلاك الأمم الظالمة من بني آدم، وفي سياق غضب الرب سبحانه، فقال قبلها" وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون/ فما كان دَعْواهم إذ جاءهم بأسُنا إلا أن قالوا إنا كُنّا ظالمين" [الأعراف/4-5] فقد ذكر أنه عاقب قسما كثيرا من بني آدم وأنزل عليهم بأسه لظلمهم، فالفرق واضح بين السياقين >> [3] إضافة إلى هذا، فإن سياق آية الأعراف كذلك قد جاء << في سياق عرض ما جرى من حوار بعد أن أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود لآدم واستكبر إبليس ولم يسجد... ولو أعدنا النظر في سياق الأعراف لأدركنا أنه لا مجال لوجود كلمة "قلنا" كما هي في البقرة، فالمقام هنا غير المقام هناك >>. [4]

وهكذا يتبين كيف تتضافر الدلالات المختلفة من معجمية كاختلاف معنى الفعل "اسكن" في الموضعين وزيادة "رغدا" و"قلنا"، ونحوية كاختلاف المعنى عند العطف بالواو أو بالفاء للفعل "كلا" على الفعل "اسكن"، وكذلك اختلاف تعلق حرف الجر "من" عند دخوله على ظرف المكان "حيث" حيث صلح أن يتعلق بفعل الأكل دون فعل السكن في آية الأعراف على خلاف آية البقرة عند تجرد الظرف "حيث" منه، حيث صلح أن يتعلق المعنى بفعلي الأكل والسكن، وكل ذلك أسهم في الكشف عن أن كل سياق هو سياق مختلف عن السياق الآخر، وله معانيه الخاصة به التي تناسب المقام الذي قيلت فيه.

---

(1) من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: ص 145.

(2) المرجع نفسه: ص 151.

(3) فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص 289.

(4) محمد بن علي الصامل: من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص ص 146-147.

المثال الثالث:

قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢]

وقال: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحجر: ٣٢]

وقال كذلك: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص: ٧٥]

تتحدث هذه الآيات الواردة في سور مختلفة عن بعض من الحوار الذي جرى بين المولى – عز وجل – وبين إبليس، وهو عبارة عن أسئلة وأجوبة اختلفت صيغها أو تراكيبها، فكانت من المواطن التي وقف عندها علماء المتشابه اللفظي والمفسرون؛ فقد استهل الخطيب الإسكافي توجيهه لها بقوله:<< إن اقتصاص ما مضى إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بأعيانها، وإنما المقصود ذكر المعاني، فإن الألفاظ إذا اختلفت وأدت المعنى المقصود كان اختلافها واتفاقها سواء... أقوال ثلاثة في بعض ألفاظها اختلاف وفي المعنى اتفاق وهي "ما منعك أن تسجد" و "ما منعك ألا تسجد" و "ما لك ألا تكون مع الساجدين" >> [1] وكأن المفهوم من هذا الكلام أن هناك سؤالا واحدا طرح، لكن تمّ التعبير عنه بصيغ مختلفة تؤدي غرضا واحدا أو معنى واحدا، وعليه، فإنه لم يقف عند حذف "لا" في "ما منعك أن تسجد" ولا عند عبارة "ما لك ألا تكون مع الساجدين" التي تختلف اختلافا كليا في صياغتها عن العبارتين الأخريين، وهو الذي وقف عند حذف التاء وإثباتها في الفعل "أخذ" في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام، وتساءل عما إذا كان يجوز وضع " أخذت " مكان "أخذ"، وهل هناك من فائدة في زيادة التاء في هذه القصة دون تلك. [2] أما ابن الزبير الغرناطي، فقد حاول أن يجد تعليلا لهذا الاختلاف بالرجوع إلى سياق الأحداث في كل موضع، ففي توجيهه لآية الأعراف يقول: << إنه لما تقدم في الأعراف ذكر خلق الإنسان وتصويره من غير ذكر المادة التي خلق منها، قال تعالى: "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم" [الأعراف11] والخطاب لبني آدم ولم يُذكر خلق غيرهم من ملَك أو جنّ، ثم إن الأمر بالسجود ورد للملائكة ولم

---

(1) الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ج2، ص 572.

(2) ينظر ص 60 من هذا البحث.

يرد إشعار بأن إبليس من غيرهم، فسبق من ظاهر الكلام أنه منهم مأمور معهم لاستثنائه منهم، فناسب هذا قوله "ما منعك" لأنه مأمور بظاهر ما تقدم، وناسب ذلك أيضا وعضد ما قلناه قوله: "إذ أمرتك"، ولما لم يقع ذكر لخلق غير الآدميين ولا ذكرت مادة خلق الإنسان ناسب ذلك ما ذكره سبحانه عن إبليس من قوله "أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين" فاستوفى ذكر المادتين وبنى ذلك ما توهم من فضل النار على الطين. >> [1] و هذا النقل على طوله الذي وجه فيه قوله تعالى "ما منعك" التي تدل على أنه مقصود بالأمر بالسجود قد ناسب السياق السابق الذي لم يرد فيه ما يُشعر بأنه ليس من الملائكة، أما الموضع الثاني من هذه الآية وهي ذكر إبليس لمادة خلقه وخلق آدم في قوله ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ لأنه لم يرد في السياق السابق للآية ما يشير إلى مادة خلق الإنسان ولا غيره، إلا أنه لم يشر أصلا إلى ما يشبه هذا الموضع الثاني من الآية في سورة الحجر والذي يقول فيه تعالى: ﴿ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الحجر: ٣٣] حيث اقتصر فيه إبليس على الإشارة إلى مادة خلق آدم دون مادة خلقه هو، على الرغم من أن الآيات السابقة أشارت إلى مادة خلق كليهما، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحجر: ٢٦–٢٧]

ومن هنا يتبين أن ما قام به ابن الزبير لم يتم التركيز فيه على نص الصيغة أو التركيب ودلالته، وهو الذي كان يجب الوقوف عليه أولا، ثم يأتي بعد ذلك البحث عن مدى مناسبته لما قبله أو ما بعده من سياقات. أما المفسرون، فقد استوقفهم زيادة " لا " وحذفها في قوله تعالى " ما منعك أن تسجد" و" ما منعك ألا تسجد "، وقد ذهب عدد منهم إلى القول بزيادتها، قال أبو حيان: <<"قال ما منعك ألا تسجد" الظاهر أن "لا" زائدة تفيد التوكيد والتحقيق كهي في قوله "لئلا يعلم" [الحديد 29] وكأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب، وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك إذ أمرتك، ويدل على زيادتها قوله تعالى " ما منعك أن تسجد " وسقوطها في هذا دليل على زيادتها

[1] ابن الزبير الغرناطي:ملاك التأويل، ج1، ص ص 487-488.

في "ألا تسجد" والمعنى من السجود، وما استفهامية تدل على التوبيخ.>> [1] وإلى مثل هذا ذهب صاحب أضواء البيان من المعاصرين، فقال: << "قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك"قال بعض العلماء معناه ما منعك أن تسجد، و"لا" صلة [2]، ويشهد لهذا قوله تعالى في سورة ص "قال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي"، وقد أوضحنا زيادة لفظة "لا" وشواهد ذلك من القرآن ومن كلام العرب في كتابنا دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب>>. [3] وهذا القول بزيادتها يجعل التعبيرين متساويين في المعنى، لكنه لا يفسر علة زيادتها في هذا الموضع وحذفها من الآخر.

وقد ذهب بعض آخر من المفسرين إلى القول بعدم زيادتها، وبالتالي فإنه يصبح للآية معنى آخر مختلف عن الموضع الثاني، وكان الطبري من الذين قالوا بهذا الرأي، حيث قال في تفسيره:<<والصواب عندي أن في الكلام محذوفا كفى دليل الظاهر منه، وهو أن معناه: ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد؟ فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين قوله "إلا إبليس لم يكن من الساجدين" وإنما قلنا إن هذا القول أولى بالصواب لما قد مضى من دلالتنا قبلُ أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له، وأن لكل كلمة معنى صحيحا، فتبين بذلك فساد قول من قال "لا" في الكلام حشو لا معنى لها>> [4] وفي معرض رده على من فسر معنى المنع بمعنى القول، كرر تأويله للآية فقال: << ولكن معناه إن شاء الله ما قلتُ: ما منعك من السجود فأحوجك أو فأخرجك أو فاضطرك إلى أن لا تسجد له على ما بيّنتُ >>. [5] أما الرازي، فقد ذكر فهما آخر إضافة إلى ما ذكره الطبري فقال: << أن كلمة "لا" ههنا مفيدة وليست لغوا، وهذا هو الصحيح، لأن الحكم بأن كلمة من كتاب الله لغو لا فائدة فيها مشكل صعب، وعلى هذا

---

(1) أبو حيان: البحر المحيط: ج4، ص 351. وينظر الألوسي: روح المعاني، ج8، ص 458.

(2) قال أبو البقاء الكفوي: الصلة في الاصطلاح ما هو في موقع المفعول به، تقال بالاشتراك عندهم على ثلاثة: صلة الموصول: وهي التي يسميها سيبويه حشوا، أي ليست أصلا وإنما هي زيادة يتم بها الاسم ويوضّح معناه. =

= وهذا الحرف صلة أي زائد.[وهو المعنى المقصود في المتن] وحرف جر صلة بمعنى وُصلة كقوله مررت بزيد. ينظر كتابه الكليات، ت عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط2، 2011، ص 473.

(3) محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،

(4) الطبري:جامع البيان، ج12، ص ص 325-326.

(5) المصدر نفسه: ج12، ص 326.

القول ففي تأويل الآية وجهان: **الأول** أن يكون التقدير: أي شيء منعك عن ترك السجود؟ ويكون هذا الاستفهام على سبيل الاستنكار، ومعناه ما منعك عن ترك السجود؟ ! ... **الثاني**: قال القاضي: ذكر الله المنع وأراد الداعي، فكأنه قال: ما دعاك إلى أن لا تسجد، لأن مخالفة أمر الله تعالى حالة عظيمة يتعجب منها ويسأل عن الداعي إليها>> [1] وقد ذكر الراغب تأويلا آخر للفعل "منع" فقال: << "ما منعك ألا تسجد" أي ما حملك، وقيل ما الذي صدك وحملك على ترك ذلك >> [2] هذا، وقد نقل الخطيب القزويني (ت739 هـ) رأيا آخر للراغب فقال: << قال الراغب رحمه الله: قال بعض المفسرين: إن معنى "ما منعك" ما حماك، وجعلك في منعة مني في ترك السجود؟ أي في معاقبة تركه.>> [3] وهذا الرأي الأخير هو الذي اختاره علي العماري، وردّ عليه فضل حسن عباس بقوله: << والرأي الذي رجحه الدكتور [علي] العماري، ونقله عن الراغب وهو تفسير "ما منعك" أي ما جعلك في منعة، هذا الرأي يمكن أن يوجَّه إليه اعتراض قوي، وسؤال وجيه، فيقال: وبم تفسر المنع في قوله تعالى "ما منعك أن تسجد" ولن يستطيع أن يحمّل الفعل هنا في سورة "ص" ما حمّله عليه في سورة الأعراف، فهو هنا يقينا من المنع وليس من المنعة>> [4] وهذا الانتقاد الذي وجهه إلى هذا المعنى، يمكن أن ينسحب على رأي الإمام الطبري وعلى تفسير "منع" بـ "دعا" و "حمل" ففي موضع سورة "ص" يصبح تأويل الطبري بالعبارة الآتية: "ما منعك فأحوجك أو اضطرك أن تسجد" وهي جملة يناقض أولها آخرها، فـ"منعك" تركٌ ونفيٌ، و"فأحوجك أن تسجد" فعل وإثبات للسجود، وكذلك التأويل بـ "دعا أو حمل" حيث تصير الجملة: "ما حملك أو ما دعاك أن تسجد" وهي خلاف ما وقع، حيث أثبتت السجود لإبليس وهو لم يسجد.

ومن خلال هذا العرض لهذه الآراء تبيّن أنها لم تزل الإشكال بين الموضعين المتشابهين، واقتصر التوجيه على موضع واحد دون الآخر، وكان ينبغي الوقوف عند كل موضع للوصول إلى الرأي

---

(1) الرازي: مفاتيح الغيب، م5، ج14، ص 28.

(2) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 477.

(3) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ت عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2004، ص 237.

(4) فضل حسن عباس: لطائف المنان وروائع البيان في نفي الزيادة والحذف في القرآن، دار النفائس، الأردن، ط1، 2010، ص 210.

الأقرب إلى الصواب، وبما أن هذه الأسئلة الموجهة إلى إبليس بينها اختلاف في التعبير، فلا شك أن لكل سؤال معنى أو مرادا مختلفا عن أي سؤال آخر، كما أن له كذلك جوابا خاصا به مختلفا عن أي جواب آخر، وهذا ما ذهب إليه فضل حسن عباس، حيث قال: << ونحن نجد أن هذه الأسئلة الثلاثة كل منها له مورده الخاص به، فلا ينبغي أن تحمل على شيء واحد، آية "ص" "ما منعك أن تسجد" هي سؤال عن المانع من السجود، وفي الأعراف "ما منعك ألا تسجد" فليس من الحكمة البيانية التي عرفناها أن نحمل هذه الآية على ما حملنا عليه الآية السابقة، وأن يكون السؤال في سورة "ص" عن المانع عن السجود، فإن السؤال في سورة الأعراف ينبغي أن يكون عن الحامل على عدم السجود، ولهذا جاء في آية "ص" "أستكبرت أم كنت من العالين" لا يقال إن الأمرين شيء واحد، فقد يكون المانع من الشيء غير الحامل على تركه >>، [1] ولعل ما يؤكد هذا الفهم هو اختلاف جواب إبليس عن كل سؤال، وقد حاول عبد الكريم الخطيب أن يعطي ترتيبا لأسئلة هذا الحوار بما يفهم منه أن سؤال آية "ص" هو الأول، وسؤال آية الأعراف هو الثاني، ويأتي سؤال آية الحجر هو الأخير، حيث قال في تفسيره: << وأما قوله تعالى " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي " فهو مطالبة إبليس ببيان المانع الذي منعه إن كان هناك مانع، فلما لم يجد المانع طولب بأن يبيّن الدافع الذي تولد في نفسه وحمله على ألا يسجد، ثم لما اضطرب وتلجلج في الكشف عن هذا الذي ضل عنه وهو يحاول الإمساك به قيل له ما لك – إذن – ألا تكون من الساجدين >>[2]

ولكن يبدو – والله أعلم – أنه بالتأمل في أجوبة إبليس يمكن أن يكون سؤال آية الحجر هو السؤال الأول، ثم يأتي بعده سؤال آية ص، ثم آية الأعراف؛ ففي آية الحجر يقول تعالى﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢ ﴾ وهو سؤال لا يشير إلى مسألة رفض إبليس السجود، وإنما هو مقدمة لجعل إبليس يشرح موقفه، فكان جوابه ﴿ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣ ﴾ [الحجر: ٣٣] ويبدو من إجابته هذه أنه يحتقر هذا المخلوق الجديد، ويرى أن المادة التي خلق منها لا يستحق صاحبها أن يسجد له، وهنا ينتقل المولى عز وجل – وهو أعلم بما

---

(1) المرجع السابق: ص 211.

(2) عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ج4، ص 376.

في نفسه- بقوله ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص: ٧٥] وفي هذا السؤال رد على جواب إبليس الأول، فبين له – عز وجل- أن هذا الذي خلق من حمإ مسنون إنما خلقته بيدي مما يجعله أعلى منزلة وشرفا، فكان يجب أن تسجد له. وكان هذا كافيا لكي يعترف إبليس بخطئه ويتوب منه، وفي هذين الموضعين كان المولى – عز وجل – يتحدث إليه بودّ ورفق فيناديه في كل مرة باسمه " يا إبليس " وفي هذا المعنى يقول عبد الرحمن حسن حبنكة: << أي قال الله – عز وجل – لإبليس مترفقا بمساءلته، ومخاطبا له باسمه المعروف بين الملائكة >> [1] وقد بين الله له أن ما قام به لا يحتمل إلا تأويلين؛ إما أن صاحبه استكبر أو كان من العالين كما جاء في ختام الآية، وكان هذا - إضافة إلى ما سبق – كافيا كذلك لكي ينتبه إبليس إلى عِظم ما ارتكبه، لكنه هنا أفصح بصراحة ما بعدها صراحة عن سبب امتناعه عن السجود، فقال: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ [ص: ٧٦] وهنا بدا تكبر إبليس وتفويته لفرصة التوبة، وخرج إلى تحدي الباري – عز وجل –، فكان بعد هذا السؤال الأخير ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢] وقد سقط منه مناداة إبليس باسمه، مما يوحي – والله أعلم بشدة غضب الله – عز وجل – منه، وهنا جاء السؤال بالنفي مقترنا بتنبيه إبليس إلى أن القصة من البداية كانت أمرا واجب الامتثال والطاعة، وما قام به إبليس إنما هو ترك الامتثال، ويبدو – والله أعلم- أن إعادة السؤال للمرة الثالثة مع ظهور تكبره في إجابته السابقة، هو فرصة أخيرة لإبليس لعله يرجع إلى حظيرة العبودية والطاعة، ولكنّه أعاد الإجابة نفسها فقال ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢] مما يدل على دخوله إلى مرحلة العناد والإصرار على الذنب ورفض التوبة.

ومن خلال ما تقدم يتبين كيف أن دلالة "لا" التي تفيد النفي، قد جعلت العلماء يفهمون منها تعدد الأسئلة، وأن كل سؤال قائم بنفسه، له جوابه الخاص به، وأنه بضم الأسئلة بعضها إلى بعض يمكن تخيل مجرى الحوار الذي دار بين إبليس والباري – عز وجل – ، كما أن مجرد الاختلاف بين

---

[1] عبد الرحمن حسن حبنكة :معارج التفكر ودقائق التدبر، ج 11، ص 53.

الآيات المتشابهة يجعل السياق مختلفا سواء داخل الآية نفسها أو بين الآيات السابقة أو اللاحقة، ويأتي الكل منسجما مع سياقه مناسبا له.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الرابع:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحجر: ٣٥]

وقال كذلك: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [ص: ٧٨]

وقد استوقفت هاتان الآيتان علماء المتشابه اللفظي، فالخطيب الإسكافي يقول: << ولما كان موضع "ما لك ألا تكون من الساجدين" [الحجر32] فجعل بدل الساجدين "أن تسجد3 ثم قال "لما خلقت بيدي"فخصصه بالإضافة إليه دون واسطة يأمره بفعله، أُجري لفظ ما استحقه من العقاب على لفظ الإضافة، كما قال "بيدي" فقال: " وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين" فكان الاختيار التوفقة بين الألفاظ التي افتتحت بها الآية واستمرت إلى آخرها هذا >> [1] ومعنى هذا الكلام أن تعريف اللعنة بإضافة ضمير المتكلم الخاص بالباري – عز وجل – إليها إنما جاء لمناسبة لفظية للكلام السابق عليها، وهو اشتمال قوله تعالى " بيدي" على الضمير نفسه، لكن هذا لا يشرح سبب تعريف اللعنة بـ "ال" دون الياء في موضع الحجر أو العكس. أما الكرماني فقال: << وقوله في هذه السورة لإبليس "وإن عليك اللعنة " بالألف واللام وفي ص " وإن عليك لعنتي" بالإضافة، لأن الكلام في هذه السورة جرى على الجنس من أول القصة في قوله " ولقد خلقنا الإنسان" [الحجر/26] " والجان خلقناه " [الحجر/27]و"فسجد الملائكة " [الحجر/30] كذلك قال " عليك اللعنة " وفي ص تقدم "لما خلقت بيدي" فختم بقوله " عليك لعنتي" >> [2] أما ابن الزبير فقد طرح الإشكال وحاول الإجابة عنه فقال: << للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف العبارتين من ورود اللعنة في سورة الحجر بالألف واللام، وفي ص بالإضافة مع اتحاد المعنى؟ والجواب عنه – والله أعلم – أن آية الحجر وردت بالألف واللام وهي المقتضية الحصر الجنسي حيث لا عهد، وذلك وارد على ما ينبغي لما قصد هنا من المبالغة، ولا سؤال فيه، وأما الوارد في سورة ص مضافا إلى ياء المتكلم فوجهه المناسبة اللفظية لقوله "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي" فجرت العبارتان على منهج

---

(1) الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ج2، ص 817.

(2) الكرماني: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 108.

واحد ومسلك متناسب، ولم يكن ليتناسب العكس في ما ورد >> [1] ويبدو أن ابن الزبير قد وافق الإسكافي في تعليل موضع آية ص بالمناسبة اللفظية، ووافق الكرماني في تعليل موضع آية الحجر، وجعل "ال" دالة على الجنس الدال على العموم المقتضي للمبالغة، ونفى أن تكون "ال" عهدية؛ فلم يسبق لها ذكر قبل هذه الآية، وعليه، يمكن أن يقال – على حسب رأي ابن الزبير – أن ما جاء في آية الحجر أقوى وأشد مما جاء في آية ص. لكن هناك من المفسرين من لم ير فرقا بين الموضعين من حيث المعنى، فهذا الألوسي في موضع آية الحجر يقول: <<: << "وإن عليك اللعنة" الإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول فيضه تعالى وتوفيقه سبحانه، ومن الإنسان دعاء بذلك، والظاهر أن المراد لعنة الله تعالى لقوله سبحانه " وإن عليك لعنتي" >> [2] إلا أنه لما جاء إلى آية سورة ص تغير شرحه، قال: << "وإن عليك لعنتي" أي إبعادي عن الرحمة، وفي الحجر "اللعنة" فإن "ال" فيه للعهد أو عوضا عن الضمير المضاف إليه، فعدم الفرق بين ما هناك وما هنا ظاهر، وإن أريد كل لعنة فذاك لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضا من جهته تعالى، فهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وإبعاده من رحمته. >> [3] ويبدو من هذا الكلام أن الألوسي قد استدرك في موضع آية ص ما بين التعبيرين من فرق، لكنه حاول تأويل ذلك بما ينسجم مع موقفه الأول الذي قرر فيه أن لا فرق بينهما، فاللعنة هي لعنة الله التي عبر عنها بـ "لعنتي" فهو يفترض أولا أن تكون "ال" عهدية، وبذلك تكون معروفة، وهي لعنة الله، أو أن "ال" هي عوض عن الياء ضمير المتكلم، وبالتالي تكون هذه هي تلك، فيكون المعنى واحدا. أما إذا كانت "ال" يراد بها كل لعنة، وهو معنى "ال" الجنسية التي تدخل فيها لعنة غيره – عز وجل – من الملائكة والجن والإنس، فهو يجعلها من لعنة الله، ولولاها لما كان للعنتهم وجود. كأن الألوسي بهذا الكلام يريد أن يجعل التعبيرين متساويين في المعنى، ولا فرق بين هذا أو ذاك. إلا أن هناك من المعاصرين من يرى عكس ما قاله ابن الزبير، وان موضع آية ص أشد وأقوى من موضع آية الحجر، وذلك بالرجوع إلى سياق الحوار الذي دار بين الله – عز وجل – وإبليس، وقد سبق شرح بعض منه

---

(1) ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ج2، ص 725.

(2) الألوسي: روح المعاني، ج14، ص 389.

(3) المصدر نفسه: ج23، ص 301.

في قوله تعالى " ما منعك أن تسجد " و "ما منعك ألا تسجد"، وكيف كان الحوار يشتد من مرحلة إلى أخرى ، سواء من حيث طرح الأسئلة، آو من حيث الأجوبة، يقول صاحب الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني مقارنا بين إجابتي إبليس في سورتي الحجر وص ليفسر سبب مجيء اللعنة معرفة بالألف واللام في الحجر، ومضافة إلى ياء المتكلم في ص : << في سورة الحجر لم يكن تفضيل إبليس صريحا، وإنما كان ضمنا، في حين نرى تفضيله صريحا في ص، قال تعالى في سورة الحجر " قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون" وقال في سورة ص " قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين " إذن جاءت لفظة (اللعنة) في سورة الحجر مناسبة [كذا] مع الجدال الهادئ ورفض السجود لأنها عامة من الله تعالى ومن المخلوقات، وأما في سورة ص فجاءت لفظة لعنتي لتدل على خصوصية هذه اللعنة وأنها من الله لتكون عظيمة ودائمة، فجاءت كل لفظة في مكانها المناسب >>. [1]

وعليه، يمكن القول إن إضافة الياء إلى اللعنة جعلتها أقوى وأشد، وأين هي لعنة المخلوقات أمام لعنة الله – عز وجل – وحتى إن قيل إن باقي المخلوقات إنما لعنتهم من لعنة الله، يبقى هناك فرق بين ما يصدر من المخلوق وما يصدر من الخالق، وقد جاء كل تعبير متوافقا مع سياقه، فلما نسب الله – عز وجل – خلق آدم عليه السلام إلى نفسه تكريما وتشريفا في قوله " بيدي" نسب إبليس الخيرية إلى نفسه بقوله " أنا خير منه " ، ناسب كل ذلك أن ينسب الله العقوبة (اللعنة) إلى نفسه لتكون لها خصوصية وعظمة.هذا ، ويذكر صاحب معارج التفكر – الذي يرى أن الحوار الذي جرى بين الله – عز وجل – وإبليس كان على ثلاث مراحل أو جلسات – معنى آخر في الفرق بين التعبيرين ينسجم مع المعنى السابق، إذ يقول << وكانت العبارة في الجلسة الأولى "وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين" فجاء التشديد في الجلسة الثانية، فقال الله له: "وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين" فاللعنة الصادرة من الله العزيز الجبار والمنصبة على إبليس أشد من عموم الحكم عليه باللعنة، لاحتمال أن تكون تكليفا من الله للملائكة بأن يلعنوه دون أن تنصب عليه لعنة الله.>> [2]

---

[1] أحمد محمد أمين إسماعيل: الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني، ص 234.

[2] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: معارج التفكر ودقائق التدبر، ج3، ص692.

المثال الخامس:

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤ – ١٥]

وقال كذلك: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [ص: ٧٩ - ٨٠]

وقال كذلك: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحجر: ٣٦ – ٣٧]

إن هذه الآيات هي جزء من الحوار الذي دار بين المولى – عز وجل – وإبليس، والذي كان عبارة عن أسئلة وجهت إليه، يقابلها بأجوبته عليها، وقد تم دراسة بعض منها في قوله تعالى " ما منعك ألا تسجد " [الأعراف/12] وقد تبين اختلاف المقام الذي قيلت فيه، واختصاص كل مقام بأسئلته وأجوبته، حتى إن عبد الرحمن حسن حبنكة اعتبرها ثلاث جلسات محاكمة لإبليس. وفي هذا الموطن من المتشابه اللفظي وقف العلماء عند زيادة لفظة "ربِّ" والفاء في سؤال إبليس، وزيادة الفاء في جواب الله – عز وجل – كل ذلك في موضعي الحجر و ص دون موضع الأعراف.

- زيادة الفاء وحذفها:

وجه الخطيب الإسكافي هذه الزيادة بقوله: << أما في الآيتين في سورتي الحجر وص، فإنه قال – عز من قائل – " قال رب فأنظرني " وجاء بعد إخبار الله بلعنه له، فكأنه قال: يا رب إن لعنتني وآيستني من الجنة فأخر أجلي إلى يوم يبعثون... فاقتضى إضمار "إن لعنتني" أن يأتي بالفاء، فيقول: "فأنظرني" ويأتي جوابه بها وهو قوله "فإنك من المنظرين" لأن التقدير إن طلبت تأخير الأجل وتنفيس المهل من أجل أن لُعنت، فإنك مؤخر لما حكمت به لك >> [1] ويفهم من هذا الكلام أن التركيب هنا هو تركيب شرطي، وقد جاءت الفاء في جواب الشرط، أما جملة الشرط فهي محذوفة مقدرة بقوله "إن لعنتني" والذي ساعد على هذا التقدير، هو ذكر لعنة الله له في السياق السابق، حيث قال له تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحجر: ٣٥] و ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ ص: ٧٨ فكان الجواب قائما كذلك على تركيب شرطي اقترنت فيه الفاء بالجواب في

(1) الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ج2، ص ص 577-578.

قوله تعالى ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [ص: ٨٠] وقوله ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحجر٣٧] أما جملته الشرطية فهي من سؤال إبليس وتقديرها "إن طلبت تأخير الأجل. إلا أن الكرماني أعطى توجيها آخر، لم يحتج فيه إلى هذا التقدير في الموضعين، فقال: << قوله " أنظرني إلى يوم يبعثون" وفي الحجر وص "رب فأنظرني" لأنه سبحانه لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح الاسم في هذه السورة، اقتصر في الجواب أيضا على الخطاب دون ذكر المنادي، وأما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة، فلأن داعية الفاء تضمنه النداء من أدعو أو أنادي نحو "ربنا فآتنا"[آل عمران/193] وكذلك داعية الواو في قوله " ربنا وآتنا" [آل عمران/194] فحذف المنادى في هذه السورة، فلما حذفه انحذفت الفاء >> [1] لم يلجأ الكرماني إلى تقدير المحذوف من الكلام، وإنما ربط ذكر الفاء بالنداء الذي قبلها، وهو قوله تعالى " قال رب" حيث إن أسلوب النداء يمكن أن يأتي جوابه مقترنا بالفاء أو الواو كما مثّل بآيتي آل عمران، فلما ترك إبليس نداء الله – عز وجل – بـ "ربِّ" في آية الأعراف حذفت الفاء من طلبه، فلم يعد هناك داع لذكرها، أما ذكر الفاء في جواب الله – عز وجل – وحذفها منه، فيقول فيه: << قوله "إنك من المنظرين" في هذه السورة وفي السورتين قال "فإنك" لأن الجواب يبنى على السؤال، ولما خلا في هذه السورة عن الفاء، خلا الجواب عنه، ولما ثبتت الفاء في السؤال في السورتين ثبتت في الجواب >> [2]

- زيادة "ربِّ" وحذفها:

تمت الإشارة في دراسة الآيات التي تتعلق بالامتناع عن السجود لسيدنا آدم عليه السلام، أن الله – تعالى – في آيتي الحجر و ص كان ينادي إبليس باسمه، وفي ذلك من الرفق به ما فيه، ولعله لما رأى ذلك قابله بمناداة الباري – عز وجل – بـ " ربِّ " يقول صاحب معارج التفكر: << "قال أنظرني إلى يوم يبعثون " [الأعراف/14] ولم يدع الله ربه، بل قال "أنظرني" أما في الجلستين السابقتين فقد قال فيهما "ربّ فأنظرني" لقد بلغ به العناد والاستكبار والحران إلى أن يسأل ربَّه دون أن يقول له:

(1) الكرماني : البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص 72.

(2) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

" ربِّ" >> [1] وهذا الكلام يكشف مدى جرأة إبليس ووقاحته أمام خالقه – عز وجل – فلما بدا غضب الله وسخطه عندما لم يناده باسمه في آية الأعراف، كان عليه أن يتراجع، وأن يبدي ذل العبودية التي إن لم يخضع لها اختيارا خضع لها اضطرارا، لكن عناده واستكباره منعاه من أن ينادي خالقة بوصف الربوبية لأنه لم يناده باسمه كما فعل من قبل.

وبعد كل هذا الشرح، يتبين كيف يأتي كل تركيب لغوي منسجما مع سياقه أو مناسبا للمقام الذي قيل فيه، فحيث الزيادة لحرف أو كلمة تكون الدلالة مختلفة عن سياق حذفها، ولا يصلح كل ذلك إلا في المقام الخاص به، وقد أسهم هذا الموضع من المتشابه اللفظي كما أسهم سابقه في الكشف عن أن هذه الأسئلة أو الطلبات مختلفة فيما بينها، وأنها كلها تمّ طرحها، وكان لكل سؤال أو طلب جوابه الخاص به، حتى إن هناك – كما تمت الإشارة إليه من قبل – من قسّم هذه الأسئلة أو هذا الحوار إلى جلسات تم فيها محاكمة إبليس عن رفضه السجود إلى سيدنا آدم عليه السلام.

[1] عبد الرحمن حسن حبنكة: معارج التفكر ودقائق التدبر، ج 3، ص 696.

المثال السادس:

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨]

وقال كذلك: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه: ١٢٣]

تتحدث هذه الآيات عن المرحلة الأخيرة من الأحداث التي جرت بين سيدنا آدم وإبليس بعد أن رفض اللعين السجود له، ثم ما قام به بعد ذلك من الوسوسة له ولزوجه ونجاحه في ذلك، وبين الآيتين عدة اختلافات رصدها العلماء ووقفوا عندها؛ منها اختلاف الاستهلال بـ"قلنا" و"قال" وإسناد الفعل إلى ضمير الجمع في "اهبطوا" وإلى ضمير التثنية في "اهبطا" واستعمال الفعل مجردا تارة في "تبع" ومزيدا تارة أخرى في "اتبع"، وزيادة "بعضكم لبعض عدو" في آية طه دون آية البقرة.

"قلنا" و " قال"

تمت الإشارة من قبل في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ البقرة: ٣٥ أن المقام فيها مقام تكريم، لذلك ناسب إسناد الفعل إلى نفسه – عز وجل – بضمير المتكلمين للتعظيم، وعن هذه الآية موضوع الدراسة يقول محمد بن علي الصامل: << إن القصة في آية البقرة جاء القول فيها مسندا إلى "نا" في المواضع التي ورد فيها القول مسندا إلى الله سبحانه، فالآية الرابعة والثلاثون بدأت بقوله – عز وجل – "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم" وبدأت الآية الخامسة والثلاثون بقوله تعالى "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة" وجاء في الآية السادسة والثلاثين "وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو" فهذه الآيات جاء فيها الفعل "قلنا" والقصة واحدة والموضع واحد، فمن المناسب أن يكون الفعل مسندا إلى "نا" كالأفعال التي سبقته. >> [1] وهذا على خلاف موضع آية طه التي قال عنها أنها << سبقت بقوله – عز وجل – "وعصى آدم ربه فغوى/ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى" [طه/121-122] وهنا

[1] محمد بن علي الصامل: من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص 158.

ثلاثة أفعال مسندة إلى لفظ (ربه) وإلى ضميره، فكان المناسب أن يأتي الفعل بعدها متلائما معها مسندا إلى ما أسندت إليه الأفعال قبله >>. [1]

- "اهبطوا" – "اهبطا":

وهنا صرّف الفعل مع ضميرين مختلفين هما؛ واو الجماعة، وألف الاثنين، ولم يتعرض الخطيب الإسكافي لهذه الآية، أما ابن الزبير فوقف عند آخرها، ولم يشر إلى مسألة اختلاف الضمير، أما باقي المفسرين، فقد اختلفوا في تحديد المخاطب بفعل الهبوط في هذين الموطنين، فمنهم من جعل خطاب الجمع خاصا بآدم وزوجه دون إبليس، نقل أبو حيان في تفسيره : << وعلى تقدير أن يكون هبوطا ثانيا [لأنه سُبق بقوله تعالى "وقلنا اهبطوا" آية/36]فقيل يخص آدم وحواء لأن إبليس لا يأتيه هدى، وخُصّا بخطاب الجمع تشريفا >>، [2] ومنهم من جعل خطاب المثنى خاصا بآدم وتبَعه وإبليس، قال البقاعي: << "قال" أي الرب الذي انتهكت داره "اهبطا منها" أيها الفريقان آدم وتبعه وإبليس جميعا >> [3] وقريب من هذا ما قاله ابن عاشور: << فالمأمور بالهبوط من الجنة آدم وإبليس، وأما حواء فتبعٌ لزوجها، والخطاب في قوله "بعضكم" خطاب لآدم وإبليس وخوطبا بضمير الجمع لأنه أريد عداوة نسليهما، فإنهما أصلان لنوعين؛ نوع الإنسان، ونوع الشيطان >>، [4] وكذلك الألوسي، حيث يقول: << وقيل الخطاب له عليه السلام ولإبليس عليه اللعنة، فإنه دخل الجنة بعد ما قيل له "اخرج منها فإنك رجيم" [ص/77] للوسوسة، وخطابهما على الأول بقوله تعالى" بعضكم لبعض عدو" لما أنهما أصل الذرية ومنشأ الأولاد، فالتعادي في الحقيقة بين أولادهما >>، [5] هذا وقد حكى الطبري أقوالا أخرى فيها من الاختلاف والغرابة الكثير.[6] وكل هذه الآراء تثير إشكالا في فهم المقصود بالخطاب، فتارة حواء شخصية مستقلة عن سيدنا آدم تتلقى

---

(1) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(2) أبو حيان: البحر المحيط، ج1، ص 244.

(3) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ج5، ص 53.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج16، ص 328.

(5) الألوسي: روح المعاني، ج16، ص 777.

(6) تفسير الطبري: ج1، ص 571 وما بعدها.

الخطاب أو الأمر مثله فتكون واو الجماعة شاملة لها مع آدم وإبليس، وتارة تختفي شخصيتها فلا يشملها الخطاب، وتصبح تابعة لآدم وتصير معه واحدا أو فريقا في مقابل إبليس كما هو الحال عند البقاعي وابن عاشور، كل هذا أثير مع العلم أن الدلالة مختلفة بين الضميرين، فما المانع أن يبقى كل ضمير على دلالته، فحيث الجمع يشمل آدم وزوجه وإبليس كما يفهم من كلام الطبري، إذ يقول: << ... على أن هبوط آدم وزوجه وعدوهما إبليس كان في وقت واحد لجمع الله إيّاهم في الخبر عن إهباطهم بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته وتسبيب إبليس ذلك لهما>>،[1] وحيث التثنية يشمل آدم وحواء كما قال الطبري كذلك : << يقول تعالى ذكره: قال الله لآدم وحواء اهبطا من الجنة جميعا إلى الأرض "بعضكم لبعض عدو" يقول: أنتما عدوّا إبليس وذريته، وإبليس عدوكما وعدو ذريتكما >> [2]، كما أنه لا مانع من أن يكون الله – عز وجل – قد خاطب آدم وحواء بالهبوط بعيدا عن إبليس، كما خاطبه دونهما، قال له تعالى: ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣] ففي خطاب التثنية يمكن الأخذ برأي الطبري، وقد كان الله في مواضع أخرى يوجه خطابه لهما مما يدل على أن هناك حوارا خاصا بين الخالق – عز وجل – وآدم وحواء، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٢] ولا داعي – والله أعلم – لتأويل قوله تعالى "بعضكم لبعض عدو بما ذكره الألوسي وابن عاشور، فالعداوة بين آدم وحواء وبين إبليس كما جاء في كلام الطبري السابق، فلا مانع أن يخاطبهما الله دون إبليس أو بعيدا عنه، ثم إذا أشار إلى مسألة العداوة قصده، فعبر عن ذلك بضمير الجمع، لأن آدم وحواء على علم سابق بهذه العداوة التي بينهما وبينه كما ورد في آية الأعراف السابقة، أو في سورة طه في قوله تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه: ١١٧]

---

(1) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه: ج16، ص 190.

وعليه يمكن القول إن كل آية قيلت في مقام خاص بها، فحيث خاطب المولى – عز وجل – بضمير الجمع كان المقصود بذلك آدم وحواء وإبليس، وحيث خاطب بضمير التثنية كان المقصود آدم وزوجه.

- "تبع" و "اتبع"

إن الفعل تبع ثلاثي مجرد، واتبع مزيد فيه حرفان، وهو على وزن افتعل، وقد تم بيان أن تغير الصيغة الصرفية يؤدي إلى تغير في المعنى، واختلاف المقام الذي قيلت فيه، وفي هذا الموضع ذهب الكرماني إلى جعل الصيغتين بمعنى واحد، حيث يقول: << قوله "فمن تبع" وفي طه "فمن اتبع" وتبع واتبع بمعنى، وإنما اختار في طه اتبع موافقة لقوله تعالى "يتبعون الداعي [طه/108] >>[1] وقد علق صاحب المتشابه اللفظي وأسراره البلاغية على هذا القول فقال:<< فذكر الكرماني أن اللفظين بمعنى واحد، وإنما اختار في طه لفظ (تبع) موافقة لما قبله في قوله "يتبعون الداعي لا عوج له" واكتفى بذلك، مع أن ما بين الآيتين أكثر من عشر آيات، وهو تخريج بعيد >> [(2)] أما ابن الزبير فقد أشار إلى فرق ما بين الصيغتين من معنى، فقال: << إن تبع وابتع محصلان للمعنى على الوفاء، وتبع فعل وهو الأصل، واتبع فرع عنه، لأنه يزيد عليه، وهو منبئ عن زيادة في معنى فعل بمقتضى التضعيف، فعلى هذا ، وبحسب لحظه ورعيه ورد فمن تبع وفمن اتبع، وتقدم في الترتيب المتقرر، فمن تبع لإنبائه عن الاتباع من غير تعمّل ولا مشقة، وأما اتبع، فإن هذه البنية أعني بنية افتعل تنبئ عن تعمّل وتحميل للنفس، فقدم ما لا تعمل فيه وأخر اتبع لما يقتضيه من الزيادة، ولم تكن إحدى العبارتين لتعطي المجموع، فقدم ما هو أصل وأخر ما هو فرع عن الأول وكلاهما هدى ورحمة >> [(3)] إلا أن هذا الكلام لا يبين – من حيث المعنى – لماذا اختص موضع البقرة بـ "تبع" وموضع طه بـ "اتبع" الذي جاء على وزن افتعل، هذه الصيغة التي تفيد المبالغة والتكلف، لذلك أردفه ابن الزبير بجواب ثان يقول فيه: << لما تقدم آية البقرة قوله تعالى " وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة [البقرة/35] إلى قوله "فمن تبع هداي " ولم يرد فيها مما كان من إبليس سوى ما أخبر به تعالى عنه من قوله "فأزلهما الشيطان عنها" [البقرة /36] من غير تعرض لكيفية تناوله ما فعل ولا إبداء علة ولا كبير معالجة ناسب هذا "تبع" ولما ورد في آية طه ذكر للكيفية في إغوائه بقوله "هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا

---

(1) الكرماني: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 27.

(2) صالح بن عبد الله الشثري: المتشابه اللفظي وأسراره البلاغية في القرآن، ص 157.

(3) ابن الزبر الغرناطي: ملاك التأويل، ج1، ص ص 190-191.

يبلى" [طه/120]... فناسبه "فمن اتبع" كما ناسب ما تقدم في آية البقرة "فمن تبع" من حيث لم يبسط فيها من كيد اللعين ما بسط في آية طه >> [1] أما فاضل السامرائي فيقول: << ثم إن كل آية من الآيتين تقتضي الفعل الذي اختير لها من جهة أخرى، ذلك أن آية طه تتضمن أمرين؛ مجاهدة الضلال في الدنيا والفوز في الآخرة، وآية البقرة تتضمن الفوز في الآخرة، والحالة الأولى تتطلب عملا أكثر وأشق، فجاء بالفعل الدال على المبالغة والتكلف للأمر الشاق، وجاء بالفعل الدال على المبالغة والتكلف للأمر الشاق، فجاء بالفعل الخفيف للعمل الخفيف>> [2] أما صاحب الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني، فيذكر معنى لطيفا للفرق بين التعبيرين فيقول: << إن الآية الأولى تتحدث عن المسلك الطبيعي وهو الاتباع بالفطرة وبصيغة الجمع "فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" والذين كفروا وكذبوا" [البقرة/39] وتدل على السير مع الركب والانقياد وتسليم الأمر دون خوف أو حذر، أما الآية الثانية فتتحدث عن الفرد وعن تقفي الأثر وطلب اللحاق به وإدراكه، ولذلك قال فيها " فلا يضل ولا يشقى " أي إنه إذا تتبع أثر الجماعة سيلحق وإذا لحق سيسعد >> [3] وهذه الآراء الثلاثة كلها تراعي السياق الذي وردت فيه كل صيغة، بما يكشف عن مناسبة كل صيغة صرفية لسياقها، أو بتعبير آخر إن الصيغة الصرفية أسهمت في الكشف عن اختلاف المقام الذي قيلت فيه.

---

[1] المصدر نفسه: ج1، ص ص 193-194.

[2] التعبير القرآني: ص 294.

[3] أحمد محمد أمين إسماعيل: الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني، ص ص 51-52.

الخاتمة:

بعد هذا العرض لفصول هذا البحث يمكن الخلوص إلى النتائج الآتية:

- إنه على الرغم من المؤلفات التي لا زالت تصدر في موضوع المتشابه اللفظي، ما زالت تعاريفه وأنواعه متباينة، لذلك تمّ تقديم تعريف له مستمد من رؤية العلماء القدامى الذين ألفوا فيه، لأنها تبدو الأقرب إلى الصواب في تصور مفهومه، كما تمّ الاجتهاد في إعطاء تقسيم منطقي لأنواعه بحيث يضم الفرع إلى أصله.
- إن كتب المتشابه اللفظي القديمة تتميز بدقة أكثر في دراسة الاختلافات بين الآيات المتشابهة مقارنة مع كتب التفسير، حتى إن كثيرا من آرائهم تشيع لدى المفسرين من بعدهم، لكن هذا لا يمنع من وجود نظرات ثاقبة وأعمق في بعض كتب التفسير تكون الأقدر على التوجيه والكشف عن سرّ هذا الاختلاف أو ذاك.
- في بعض الآيات المتشابهة يتم التركيز على موطن الاختلاف دون الالتفات إلى السياق القريب منه، وهو السياق السابق أو اللاحق، لأنه كلما كان هناك اختلاف بين آيتين، إلا وتبعه تغير في السياق السابق أو اللاحق، وكثيرا ما يساعد مراعاة ذلك في عملية التوجيه.
- لكل حالة أو موقف أو حدث تعبير خاص به، فلا يُعبّر عن الحدث الواحد بتعبيرين مختلفين.
- كل تغيير في التعبير، فإن دلالته سواء أكانت معجمية أم نحوية أم صرفية أم صوتية، فإنها تُسهم في الكشف عن ارتباطها بحدثها الخاص بها، وعليه فإن القرآن لا يضع اللفظ إلا في مكانه المناسب الذي لا ينوب عنه فيه أي لفظ آخر.
- إن الدلالات المختلفة تتضافر فيما بينها في عملية التوجيه، ويبدو انسجامها مع بعضها، حيث قد تسهم دلالة ما في توجيه الدلالة الأخرى، ولو اقتصرت الدراسة على دلالة واحدة لما تم الوصول إلى هذه النتيجة.
- هناك بعض التوجيهات التي قال بها علماء المتشابه اللفظي أو بعض المفسرين تبدو غير مقنعة، كالقول – مثلا – بمجيء الاختلاف لمجرد مراعاة الفاصلة.

- إن هذا البحث في الدلالات ما زال ميدانا متسعا، فقد تكون – مثلا – الدلالة الصرفية أو النحوية موضوعا للبحث والدراسة، بحيث يرصد كل الظواهر الصرفية أو النحوية، وبيان مدى قدرتها على توجيه ما تشابه من الآيات لفظا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفـهـــــــارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

الآيـة ورقمها	رقم الصفحة
﴿سورة البقرة﴾	
﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٢٥)	4
﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ (٣٥)	16،21،24
﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ﴾ (٣٨)	20 ،19
﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ (٥٨)	17،19،20،22
﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ (٦٠)	20،42 ،18
﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ﴾ (٦١)	48
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ (٦٣)	17
﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ (٧٠)	4
﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨)	22
﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ﴾ (١١٨)	4
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (١٢٦)	18،56
﴿سورة آل عمران﴾	
﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (٧)	4،9
﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢٧)	20
﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٢)	36
﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ (٤٤)	36
﴿سورة النساء﴾	
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ (٣)	10
﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ (١٥٤)	17
﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (١٥٣)	47
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ (١٥٥)	22
﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (١٥٧)	4

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الأنعام

﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ 20

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ ﴿٩٩﴾ ﴾ 3

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ 4

سورة الأعراف

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ 20

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴿١٩﴾ ﴾ 16،21،22،24

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴿٥٩﴾ ﴾ 16، 19

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ ﴿٦٤﴾ ﴾ 17،19

﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ 61

قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ ﴿٨٨﴾ 63

﴿ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ ﴿١٠٢﴾ ﴾ 36

﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ ﴿١٠٣﴾ ﴾ 22

﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ 51

﴿ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾ ﴾ 17، 51، 66

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ 48

﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ ﴿١٢٣﴾ ﴾ 16

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ 16

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ 21

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ ﴿١٣٨﴾ ﴾ 47

﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۖ ﴿١٤١﴾ ﴾ 24

﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ ﴿١٦٠﴾ ﴾ 18،42،48

﴿ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ ﴿١٦١﴾ ﴾ 17،19،20،22

سورة هود

﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنَّنِيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ ﴾ 16

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ 59

﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ ﴿٦٤﴾ ﴾ 18

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴿٩٤﴾ ﴾ 59

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ 62

﴿ سورة يوسف ﴾

﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴿٨٢﴾ ﴾ 37

﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ ﴿٨٣﴾ ﴾ 37

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ ﴿٨٨﴾ ﴾ 37

﴿ سورة يونس ﴾

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ 40

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ﴿٧٣﴾ ﴾ 17،19

﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ 22

﴿ سورة الرعد ﴾

﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ ﴿١٦﴾ ﴾ 4

﴿ سورة إبراهيم ﴾

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ 18،56

﴿ سورة الحجر ﴾

﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ 20

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ 21

﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ 61

﴿ سورة الكهف ﴾

﴿ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ ﴾ 10

﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبٗا ﴿٩﴾ ﴾ 34

﴿ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ ﴾ 34

﴿ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾ ﴾ 34

﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿١٢﴾ ﴾ 34

سورة طه

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾ 51

﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴿٧١﴾ ﴾ 16

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ 25

﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ 25

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴿١٢٣﴾ ﴾ 19، 20

سورة المؤمنون

﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ 19

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ 21

سورة الشعراء

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ 36

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ 21

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ 17

﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ 51

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ 48

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۚ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ 16

﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ 21

﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ 63

﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾ 18

سورة النمل

﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ﴿٤٩﴾ ﴾ 63

﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ 63

سورة القصص

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ 35

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴿٣٨﴾ ﴾ 53

﴿ سورة ص ﴾

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴿٢٦﴾ ﴾ 35

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ 35

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ 35

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ 35

﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ 20

﴿ سورة الزمر ﴾

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ ﴿٢٣﴾ ﴾ 4

﴿ سورة فصلت ﴾

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ 64

﴿ سورة الشورى ﴾

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ ﴿١١﴾ ﴾ 10

﴿ سورة الزخرف ﴾

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ 21

﴿ سورة الذاريات ﴾

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ 61

﴿ سورة القمر ﴾

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ 64

﴿ سورة الرحمن ﴾

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ 25

﴿ سورة الحاقة ﴾

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾ 61

﴿ سورة المرسلات ﴾

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ 25

﴿ سورة الشمس ﴾

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾ 64

﴿ سورة الكافرون ﴾

﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾ 25

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية حفص

2- أحمد بن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ت سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2007

3- أحمد بن الزبير الغرناطي: البرهان في ترتيب سور القرآن، ت محمد شعباني، مطابع فضالة، المغرب، 1990

4- أحمد أبو زيد: التناسب البياني، طبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1992

5- أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ت ع/السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979.

6- أحمد محمد أمين إسماعيل: الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني في المتشابه من الألفاظ والتراكيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011

7- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1992، ص 13.

8- الألوسي: روح المعاني، ت محمد أحمد الأمد – عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

9- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، دار الحديث القاهرة، ت أبي الفضل الدمياطي، ط، 2006

10-أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1994

11-برهان الدين البقاعي: نظم الدرر غي تناسب الآي والسور، ت ع/الرزاق غالب المهدي،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995

12-أبو البقاء الكفوي: الكليات، ت عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط2، 2011

13-أبو بكر محمد بن سهل بن السرّاجّ: أصول النحو، ت عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1999

14-أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، تعليق أبي عبد الرحمن صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط،2001

15-أبو بكر الباقلاني: الانتصار للقرآن ، ت محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2001

16- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000

17- تماني باحويرث: أثر دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني": ، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، تحت الرقم: 4258390.

18-ابن جرير الطبري: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر، للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2001.

19-جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 2008

20-جواد موسى محمد عفانة: آدم الإنسان (أبو البشر)، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط3، 2008

21-الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ت أحمد ع/ الغفور عطار، دار العلم للملايين، يروت، ط4، 1990

22-أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي: متشابه القرآن ، ت صبيح التميمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، طرابلس، ط1، 1994

23-أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط، ت عبد الرزاق المهيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1،2002
24-خالد بن سعود بن فارس العصيمي: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003
25-خالد قاسم بني دومي:دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006
26-الخضر اليزدي: شرح شافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخط، ت حسن أحمد العثمان، مؤسسة الريان، بيروت،ط1، 2008
27-الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، ت محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، ط1، 2001
28-الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ت عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2
29-الخليل بن أحمد: كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق ع/الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3
30-الرازي: مفاتيح الغيب، دار الفكر ، بيروت، ط5، 2005
31-الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2005
32-الرماني: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ت محمد خلف الله أحمد- محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1991.
33-زكريا الأنصاري: كتاب فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، ت بهاء الدين ع/الموجود محمد، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، دت.
34-أبو زكريا يحي بن زياد الفرّاء: معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983
35-الزمخشري: أساس البلاغة، دار المعرفة، بيروت، د ت.
36-الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، ت إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.
37-سعد كموني :العقل العربي في القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
38-أبو سليمان الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت محمد أحمد خلف الله – حمد زغلزل سلام، دار المعارف، مصر، ط4، 1991
39-سليمان عشراتي: الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1998.
40-ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ت علي فودة، مكتبة الخاجي، مصر، ط1، 1932
41-سيد قطب: التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق، القاهرة، ط16، 2002.
42-شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ضبط وتخريج عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، ط1، 1997.
43-شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، مصر، ط3، دت.

44-صلاح الخالدي: القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط1 1998.
45-طلال حرب: أولية النص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999.
46-طه ندا: فن القصة، بحث ضمن كتاب: المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية، إصدار قسم اللغة العربية، جامعة قطر، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة، ط1، 1987.
47-عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط6، دت
48-عباس حسن: النحو الوافي، آوند دانش للطباعة والنشر، طهران، ط1، 2004.
49-عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية،بيروت،ط،2002.
50-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، ط1، 2000.
51-عبد القادر الخطيب الحسني: مقدمة هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب: للسخاوي،دار الفكر المعاصر، بيروت، 1994
52-عبد الفتاح أحمد الحموز: التأويل النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض،ط1، 1984
53-عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تقديم وشرح ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003
54-عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني، دار المعرفة،بيروت، دت
55-ابن عصفور الإشبيلي:شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2003
56-عمر محمد عمر باحاذق: أسلوب القرآن بين الهداية والإيجاز البياني: ، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1994
57-عودة الله منيع القيسي: الإعجاز اللغوي في قصص نوح ع ، دار عمار، الأردن، ط1، 2002
58-فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في القرآن، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 2006
59-فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، الأردن، ط5، 2007
60-فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية، دار عمار، الأردن، ط2، 2007
61-فضل حسن عباس: لطائف المنان وروائع البيان في نفي الزيادة والحذف في القرآن، دار النفائس، الأردن، ط1، 2010
62-الفيروزابادي: بصائر ذوي التمييز، المكتبة العلمية، بيروت، ت محمد علي النجار، دتكريم حسين ناصح الخالدي:نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006
63-ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ت السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973
64-مجدي حسين: التوجيه اللغوي لمشكل القرآن الكريم، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط 2007
65-محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير، ت سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2007
66-محمد بن علي الصامل: من بلاغة المتشابه اللفظي، دار إشبيليا، السعودية، ط1، 2001
67-محمد بن محمد المختار الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*******ص 95
68-محمد بن يوسف اطفيّش: تيسير التفسير، ت إبراهيم بن محمد طلاي، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط 1998
69-محمد رجب البيومي: البيان القرآني ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط2، 2005

70-محمد شديد: منهج القصة في القرآن ، شركة عكاظ، الرياض، 1984
71-محمد صادق درويش: إعجاز القرآن الكريم، دار الإصلاح، دمشق، ط1، 2009
72-محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984
73-محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، دت
74-أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993
75-محمد عناية الله أسد سبحاني: إمعان النظر في نظام الآي والسور، دار عمار، الأردن، ط1 2003
76-محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن ، منشورات بغدادي، الرويبة، الجزائر، ط2000
77-محمد فؤاد ع/ الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2001
78-محمود بن حمزة الكرماني: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ت عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1986
79-محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005
80-مصطفى شعبان عبد الحميد: المناسبة في القرآن، دراسة لغوية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2007.
81- مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2004، ص19.
82- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994.
83-هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي،عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008
84-ابن هشام الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2008
85-ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط2، 1997

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
المقدمة	أ/
الفصل الأول: المتشابه اللفظي: تعريفه، أنواعه، رؤية تاريخية	1
المبحث الأول: تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحا	2
أولا: المتشابه اللفظي لغة	2
أ/ المتشابه	2
الجذر اللغوي (ش ب ه) في القرآن الكريم	3
ب/ اللفظي	5
ثانيا: المتشابه اللفظي اصطلاحا	6
أ/ عند العلماء المصنفين فيه	6
ب/ عند غير العلماء المصنفين فيه	9
1. المتشابه اللفظي عند الطبري	9
2. المتشابه اللفظي عند الراغب الأصفهاني	10
3. المتشابه اللفظي عند الزركشي والسيوطي	11
ج/ عند المعاصرين	12
المبحث الثاني: أنواع المتشابه اللفظي	14
أولا: الإبدال	15
أ/ إبدال الحرف بالحرف	15
ب/ لإبدال الاسم بالاسم	16
ج/ إبدال الفعل بالفعل	18
د/ إبدال الجملة بالجملة	19
هـ/ إبدال نوع بنوع آخر	20
ثانيا: الزيادة والنقصان	20
أ/ زيادة الحرف	20
ب/ زيادة الاسم	21

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج/ زيادة الجملة	21
ثالثا: التقديم والتأخير	22
أ/ تقديم الاسم	22
ب/ تقديم الجملة	22
ج/ تقديم شبه الجملة	22
المبحث الثالث: المتشابه اللفظي رؤية تاريخية	23
الفصل الثاني: دلالة المتشابه اللفظي في القصص القرآني	29
المبحث الأول: منهج القرآن في عرض القصة	30
أولا: من حيث الحجم	32
ثانيا: من حيث الإجمال والتفصيل	33
ثالثا: من حيث التوحد والتكرار	34
رابعا: من حيث طريقة السرد	35
أ/ التعقيب القصصي	35
ب/ أول القصة ونهايتها	36
ج/ الإيجاز والحذف	37
د/ التنويع بين السرد الإخباري والسرد الحواري	38
هـ/ عبارات الاستهلال السردي	38
المبحث الثاني: دلالات المتشابه اللفظي في القصص القرآني	40
أولا: الدلالة المعجمية	42
أ/ إبدال كلمة بأخرى	42
ب/ زيادة الحرف	48
ثانيا: الدلالة النحوية	54
أ/ التعريف والتنكير	55
ب/ التذكير والتأنيث	59
ثالثا: الدلالة الصرفية	65
أ/ إبدال صيغة اسم الفاعل بصيغة المبالغة: ساحر– سحّار	66

ب/ إبدال المفرد بالجمع : دارهم – ديارهم	69
رابعا: الدلالة الصوتية	73
أولا: الفاصلة القرآنية بين القول بمراعاة الإيقاع ومراعاة المعنى	73
أ/ القول بمراعاة الإيقاع	73
ب/ القول بمراعاة المعنى أولا	80
ثانيا: المتشابه اللفظي والفاصلة القرآنية	82
أ/ تقديم هارون على موسى	82
ب/ إبدال فاصلة "منقعر" بـ "خاوية"	88
الفصل الثالث: دلالات المتشابه اللفظي في قصة آدم عليه السلام	94
المثال الأول: (آية الحجر28) (آية ص 71)	96
المثال الثاني: (آية البقرة 35) (آية الأعراف 19)	98
المثال الثالث: (آية الأعراف 12) (آية الحجر 32) (آية ص75)	105
المثال الرابع: (آية الحجر 35) (آية ص78)	112
المثال الخامس:آيات (الأعراف 14–15) (ص79–80) (الحجر 36–37)	115
المثال السادس: (آية البقرة 38) (آية طه 123)	118
الخاتمة	123
فهرس الآيات	126
فهرس المصادر والمراجع	132
فهرس الموضوعات	136

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية